محمد أمين زين الدين

1

مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية

الشيخ محمد [illegible]

2

الثقلان الكتاب والعترة

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

مع الدكتور أحمد أمين
في حديث
المهدي والمهدوية

الثقلان
الكتاب والعترة

محمّد أمين زين الدّين

مع الدّكتور أحمد أمين

في حديث

المهْدي والمهْدويّة

واكمالاً للفائدة ـ نورد لعزيزنا القارىء بعض المعلومات القيمة الهامة التي تهم الباحثين الاسلاميين ـ الناشر

لهذه الغاية وحدها حرّرت
كتابي والحق يشهد على
ما أقول والآراء إنّما
توسس للردّ أو للقبول .

مع كتاب

الثقلان الكتاب والعترة ـ للشيخ محمد حسين المظفر

مؤسّسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ص . ب ٢٢٩/٢٥

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد ابراهيم علي

لبنان ـ بيروت ـ ص. ب. : ٢٢٩/ ٢٥ ـ هاتف : ٨٣٤٢٢١
العنوان ـ حارة حريك شارع دكاش بناية الكنار شاهين سنتر

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدي والمهدوية كتاب للأديب المصري أحمد أمين وتعرفه من خلال (ضحى الإسلام) وظهره وفجره . في هذا الكتاب حاول الدكتور أن يشرح فكرة المهدي بعض الشرح وأن يلم بتأريخها كل الإلمام ، ولكن قلة المصادر قصرت به عن الغاية فلم يوضح في الشرح ولم ينصف في التأريخ .

ولعلَّ تلك القلة المزعومة ناتجة عن قصر ذات يده فدفعته باعتقادنا إلى مخالفة المنقول والمعقول من أجل عمليات الترويج والرواج لما يكتب حتى يزيل قلة في المصادر عانى منها الكثير ، فيكون سبب إزالتها (خالف تُعرف) .

وتأتي (مؤسسة النعمان) لتعيد طباعة كتاب قديم كان قد طبع سنة ١٩٥١ م في النجف الأشرف للسيد محمد أمين زين الدين ويرد فيه المؤلف الطابة إلى مرماها ، والسهم إلى باريه ، إثباتاً للحق والحقيقة ، وامتثالاً للواجبات الإلٓهية في الذب عن الدين ومجابهة المنكرين والطاعنين لرسالة النبي الأكرم (ص) .

وكتاب (مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية) من الكتب التي صغر حجمها وكثر نفعها وزيد في فضلها حتى قصرنا القول عنها إنها ليست سوى معاجم في صغرها وقول الحق كبير وكبير جداً مهما صغر الأعلى الكافرين .

ولا غرابة في كل ما قلناه وأوضحناه لأن (مؤسسة النعمان) عملت

قديماً وما زالت تعمل في نشر التراث الإسلامي وطباعة ونشر كل ما يخدم القضايا الإسلامية اتباعاً للأوامر الإلهية وتقيداً بالرسالات الفكرية والحضارية للشعوب ، ونهجاً لما يؤدي إلى تطور الأفكار الجامدة وإحياء الميت فيها ، ودفعاً لمسيرة الإنسان في ارتقائه نحو الإيمان بالله ، فيتبع أوامره وينتهي عن نواهيه والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

الناشر

الحاج حسن الكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيد رسله محمد وآله ، والصفوة المنتجبة من أصحابه ، والتابعين لهم باحسان .

بين يدي الكتاب

صلتي بالدكتور أحمد أمين حرسه الله قديمة يرجع عهدها الى طويل من السنين ، وأتذكر أن بداية هذه الصلة يوم قرأت له كتاب الاخلاق ، وأكدتها قراءاتي المتتابعة لمؤلفات الدكتور ومقالاته الكثيرة ، وأشتدت هذه الصلة حين حررت كتاب (الاخلاق عند الامام الصادق) فقد كانت بيننا أحاديث ممتعة لست أنساها ، وان لم يعلم بها الدكتور لانه لم يقرأ هذا الكتاب .

والصلة حين تنشأ على الأخلاق تكون متركزة على العقل ، ومتصلة بأعماق النفس ، وفي هذا ما يضمن لها البقاء ، ويحفظها عن تسرب الوهن .

على أني ـ ولست أظلم الحقيقة فيما أقول ـ توسمت في الدكتور صفة منذ اليوم الأول ، وأكدت لي القراءات المتتابعة صحة هذا التوسم ، وسيؤكدها أيضاً ما اقرأه بعد من منتوجات الإستاذ الجليل ، لان هذه الصفة ثابتة للدكتور من دون ريب ، ويستحيل أن لا تكون .

توسمت في الدكتور صفة لا يرضاها لنفسه ، وماذا علي من جحوده لهذه الصفة إذا ارتضاها له عمله ، وأكثر الناس ينكرون صفاتهم التي

يكرهونها ، ويتنكرون لمن وصفهم بها أشد التنكر ، وللواقع سلطان نافذ الحكم على المدعي والمنكر .

توسمت في الدكتور يوم رأيته ناقداً إنه لم يخلق للنقد وانما خلق للتاريخ ، وكأن الطبيعة هيأته لأن يكون مؤرخاً كبيراً يستعرض التاريخ بحروفه وصروفه ، ويستقرء الحوادث أسودها وأبيضها ، يلقيها دروساً على تلاميذه في الجامعة ، ، ويحررها كتباً لقرائه الآخرين ، ولكن الطبيعة لم تهيئه لان يكون ناقداً في يوم من الايام .

أقول : إن الطبيعة لم تهيئه للنقد ولا لما يشبه النقد ، لاني لم أجده موفقاً في نقوده الكثيرة إلا إذا كان غيره مصدر ذلك النقد ، وكان نصيبه منه نصيب المؤرخ من التأريخ .

هذا ما أقوله في الأستاذ بعد تجارب سنين ، وهذا ما اتحدى القاريء الى تجربته في نقود الأستاذ ، على أن ينظر اليه كاتباً عربياً له محاسنه وله مساويه ؛ وقد يكون في القراء من علم ذلك قبلي ، فلست أريد الاستيثار بالحقائق وان كانت حلوة ، فكيف بالحقائق المرة .

أضفت هذا التوسم الى تلك الصلة منذ سنين ، فكانت مطالعاتي لكتب الأستاذ ومقالاته تمد لي هذه الصلة بالقوة وتؤكد لي هذا التوسم بالثبات والرسوخ ، حتى أصبحت الصلة صداقة ، وانقلب التوسم رأياً .

ولست أظن ان الاستاذ يغضب من رأيي هذا لأني لست فيه من الظالمين وليس علي من حرج أن أغضب صديقاً في الحق ، وإن كان هو الدكتور أحمد أمين وقد أوصانا الدكتور في كتاب الاخلاق ان لا نداهن في الحق ، وأن لا نغضب على أحد لأنه يقول الحق .

تعرفت الى الدكتور قديماً في كتابي الأول ، فلست أظن أنه ينكرني

إذا التقيت به في كتابي الأخير ، لأن صلة الادباء صلة في العقول ، وصلة العقول لا تخضع للزمان ولا للمكان ، ولا تقف دونها الحواجز .

وسأجهد أن تكون صلتنا اليوم أشد من صلتنا بالأمس لأن كتابي هذا بجميع فصوله سيحوم حول نظرية من نظريات الدكتور ، وسيحاسبه عن فكرة من أفكاره وللقارىء أن يسايرنا الى الغاية إذا أعجبه هذا اللون من الحديث ، وإذا لم تستطع هذه المقدمة أن تغضب الدكتور فانا ضمين له أن الكتاب لا يستطيع أن يغضبه أيضاً ، لأن كل ما فيه دليل على هذه الدعوى وبرهان على هذا الرأي .

ليقرأ الأستاذ كتابي هذا على أنه تفاهم حول فكرة نقدها الناقد طلباً للحق ، وأثبتها المثبت طلباً للحق أيضاً وحاول الكتاب أن يستخلص الحق من بين ذلك الشك وهذا اليقين .

لهذه الغاية وحدها حررت كتابي والحق يشهد على ما أقول ، والاراء إنما تؤسس للرد أو للقبول .

(المهدي والمهدوية) عنوان لكتاب جديد حاول الدكتور أن يشرح فيه فكرة المهدي بعض الشرح ، وأن يلم بتأريخها كل الالمام ، ولكن قلة المصادر قصرت بالأستاذ عن الغاية ، فلم يوضح في الشرح ، ولم ينصف في التأريخ والكاتب في تفسير العقائد المذهبية إذا اعتمد على التأريخ وحده ، أو على ما يكتبه خصوم ذلك المذهب فقد فاته من موضوعه كل شيء ، والدكتور يعترف بقلة المصادر عنده .

ويضاف الى قلة المصادر قلة تتبع الدكتور لما بين يديه من هذه المصادر ، ولو كان شديد التتبع لعلم ان الكتاب الذي بين يديه في شرح قصيدة العلامة بهاء الدين العاملي انما هو للشيخ أحمد المنيني الحنفي المتوفي

سنة ١١٧٢ للهجرة ، وليس هو لناظم القصيدة كما يقول في ص ٣١ .

أقول : لو كان متتبعاً لمصادر البحث في هذا الشرح ما دام يعتقد أن كاتبه أحد علماء الشيعة ولاطلع على الخلاف الشديد بين الشارح والناظم في كثير من أبيات القصيدة ، ولتوقف في هذه النسبة التي تسرع بها في كتابه ، لم أستغرب لهجة الأستاذ حين يقول عن أئمة الشيعة انهم يختفون عن الأعين ، ويعيشون على الوهم .

لم أستغرب هذا ونظائره من الأستاذ في كتابه الجديد فقد سمعت لهجته القديمة في كتبه الأولى ولست أنتظر منه تغييراً في لهجة ، أو تعديلاً في اسلوب ، وإذا كان قليل المصادر حين ما كتب فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، فانه قليل المصادر أيضاً حين ما يكتب المهدي والمهدوية ، فاللهجة هي اللهجة ، والمعاذير هي المعاذير ، وعلى الله الوصول الى نهاية المطاف .

لم أستغرب جميع هذا من الأستاذ ، ولكني استغرب جداً أن يحاول بعد هذا كله أن يكون من دعاة الوحدة بين المسلمين . . . أرأيت أسلس من هذه النتيجة لهذه المقدمات .

أما بعد فاني سأستعرض فكرة المهدي من نواحيها الخاصة بالشيعة الأثني عشرية ، وإن خلط الدكتور بين نواحيها الكثيرة ، فكون من مجموع الملابسات مزيجاً عجيباً نتبرء منه كل طائفة على انفرادها ، وهذا أول شيء يؤاخذ به سعادة الدكتور .

النجف ١ ذي الحجة الحرام ١٣٧٠ .

محمد أمين زين الدين

المصلح المنتظر في أحاديث الأديان

لا يشك أحد أن فكرة الاصلاح المنتظر قديمة بقدم الزمان ، وانها ليست من متفردات دين الاسلام ، ولا من مؤسسات نبي الاسلام (ص) لأنا نجد الاديان السماوية التي سبقت الاسلام في الزمن تبشر بهذه الفكرة ، وتعلن عن هذا المبدأ ، وتحدد صفات المصلح ؛ وتصف مناهج الاصلاح ، وان لم تسّم المصلح المنتظر مهدياً ولا دعوته الاصلاحية مهدوية .

ولسنا نشترط عليها ذلك بعد أن علمنا أن لكل أمة عرفاً ، ولكل لغة مصطلحات ولا تزال هذه الفكرة باقية فيما بقي من فرق هذه الأديان ؛ ففرق اليهود ، وطوائف النصارى لا تختلف في ذلك .

وقد سرت هذه الفكرة الى غيرهم من الاديان الاخرى كالزرادشتية ، والبرهمية ، والدكتور يعترف ببعض ذلك في كتابه[1] وان كانت أمم الشرق أكثر تمسكاً بالفكرة لأن الشرقيين أكثر أملا ، والغربيين

---

(١) انظر صحيفة ٦ و صحيفة ٢٠ من المهدي والمهدوية وانظر صحيفة ٥ و ٦ و ٨١ من الترجمة الفارسية لكتاب (المهدي في ثلاثة عشر قرناً) تأليف المستشرق الفرنسي الاستاذ (خاورشناس دار مستتر) .

أكثر عملا ، كما يقول الدكتور في مقدمته ولـذلك فـلا يمكننا التصـديق بان هـذه الفكرة وليـدة الضغط الشديـد الذي واجهتـه الشيعة من الحكـومات القائمة ، ولا يسعنا أن نقول أن تأريخ الفكـرة متأخـر عن تاريـخ الاسلام كما يحاوله الاستاذ .

والنتيجة المنطقية لما تقدم : ان فكرة الاصـلاحِ المنتظر كـانت مألـوفة قبـل مجيىء الاسلام ، وان نبي المسلمـين ـ إذا صحت أحـاديث المهـدي ـ أحد المبشرين بهذه الحركـة الاصلاحيـة الموعـودة ، وان كان أشـدهم صلة بهـا ، وأكثرهم حباً لها ، من نـاحية اخـرى ، من حيث انها ثمـرة كـاملة لغرسه ، ونتيجة تامة لمقدماته .

أقول هذا ، لان دين الاسلام قد أحال أن يكون بعده دين جديد .

وإذا تطابقت هذه الأديان على التحدث بهذه الفكرة وإذا كانت مرتقبة عند امم الشرق و أمم الغرب كان الحديث عنها متواتراً يقيناً ، إذا صح للتواتر معنى يستمد عليه العقلاء[1] وهل يجوز لنا أن نحكم على هذه الامم جميعاً

(١) التواتر شيوع في الخبر ، واستفاضة في نقله ، اذا ادت هذه الاستفاضـة الى اليقين بصدق الخبر ، وأحال العقل تواطؤ المخبرين على الكذب فيـه ؛ والعقلاء يعتقـدون ان التواتر من أهم اسباب اليقين بالاشياء ، ويعـدّون الخبر المتـواتر من الضـروريات التي يصدقها العقل بنظرته الاولى ، وإذا نظرنا أهم الوقائع في التأريخ وجدنا ان العلم بهـا انما يحصل لنـا من الخبر المتـواتر ، ولكن من الحق ان نشتـرط لحصول العلم من الخبـر المتواتر شرطاً آخر وراء ما تقدم ، وهو ان يكون ذهن السامع خالياً من عقيدة أو شبهة تناقض الخبر ؛ ولذلك قد لا يحصل لنا العلم بواقعـة من وقائـع التأريـخ ، وان كانت متواترة بين المؤرخين .

ومن امثلة ذلك تشكيك الدكتور طـه حسين بـوجود بعض الشخصيـات الأدبية ، وان اصر عـلى وجودهـا المؤرخون والـواجب في مثل هـذا أن ينظر النـاقد مقـدار قيمة تلك الشبهة أو العقيدة من البرهان العلمي .

انها تواطأت على الكذب ، هذا ما لا يقبله عقل ، ولا يحتمله عاقل ، ولم يشترط أحد في الخبر المتواتر أن يكون نبأ عن الماضي[1] ولتكن هذه الفكرة موافقة لميول الناس العامة أو مخالفة لها ، لان موافقة الميول لا يمكن أن تجعل دليلا على كذب فكرة أو صدقها ، ولا برهاناً على وضع الاحاديث فيها ، ولا يعد هذا من أساليب النقد العلمي ، إلا أن تكون للنقد موازين أخرى لا يعرفها العلم .

حديث الاصلاح المنتظر متواتر عند كثير من أهل الشرائع الأولى ، وأحاديث المهدي متواترة عن نبي الاسلام على ألسنة طوائف المسلمين ، وليس بعد هذا مساغ لنقد أسانيد الروايات كما يحاوله الدكتور ؛ ويحاوله العلامة ابن خلدون من قبله ، لأن صحة السند لا تشترط في الاحاديث المتواترة ، هذا من الوجهة الفنية ، أما مخالفة هذه الأحاديث للعقل ، أو لهوى نفسي يسميه الدكتور أحمد أمين عقلا فهو شيء نبحث عنه في الآتي القريب .

أقول : أحاديث المهدي متواترة عند فرق المسلمين ، لان الذين رووا هذه الاحاديث طوائف كثيرة من أئمة المنقول ، وحفاظ السنة ،

---

(١) يقول العلامة (علي بن ابي علي بن محمد الامدي) المتوفي سنة ٦٣١ هجرية في الجزء الثاني من كتابه (الاحكام في اصول الاحكام) ص ٤٤ « شرطت الشيعة وابن الراوندي وجود المعصوم في خبر المتواتر ، حتى لا يتفقوا على الكذب وهو باطل . . . » ومن حق الشيعة ان تسأل العلماء الذين يشهدون للآمدي بالوثاقة ويصفونه بالتثبت عن مصدر هذه النسبة ، أي كتب الشيعة يشترط هذا الشرط ، وعن أي علمائهم ينقل ؛ انها نسبة كاذبة من دون ريب ، والشيعة تشترط وجود المعصوم في حجية الاجماع ، والاجماع غير الخبر المتواتر ، ولكن الآمدي رحمه الله (أضاع ثقب الدعاء) كما يقول المثل الفارسي .

ودونها الاكثر منهم ، وأفردها كثير منهم بالتأليف ، وأشار الى مضامينها البعض الآخرون .

ويقول العلامة ابن خلدون في الفصل الذي عقده في الفاطمي المنتظر من مقدمته [اعلم ان في المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت . . .] وفي هذا القول شهادة صريحة بشهرة الفكرة بين المسلمين على ممر الاعصار وفيه إيمآء الى تواترها ، وان كان هذا الآيماء من طرف خفي على ما يقول المتقدمون .

ولكنه يعرض في فصله لأحاديث الفكرة فيتناولها بالنقد ولا يسلم عنده من أسانيدها إلا القليل ؛ كأن صحة السند تعتبر في الخبر المتواتر ؛ وكأنه أحاط بأخبار الفكرة جميعها ، فاذا نقدها فقد خلت الفكرة من الدليل ، ولو تتبع قليلا لعلم أن الفكرة أرفع من هذه المحاولات ، وإن أدلتها في غنى عن تصحيح الأسانيد ، وإلى القارىء قائمة صغيرة بعدد الاحاديث التي دونها الثقاة من رجال المنقول والتي عرضت لي اثناء بحثي القصير .

أربعون حديثاً خرجها الحافظ أبو نعيم في كتابه (ذكر نعت المهدي) وقد رواها الاربلي في كتاب كشف الغمة بحذف الاسانيد .

ثمانية وثلاثون حديثاً ذكرها ابن خلدون في مقدمته لينقد أسانيدها .

سبعون حديثاً خرجها الحافظ محمد بن يوسف الكنجي في كتاب البيان .

مائة وعشرة أحاديث رواها صاحب كتاب كشف المخفي في مناقب المهدي ، وجميع رواة هذه الاحاديث من رجال المذاهب الأربعة ولو أردنا

أن نضيف الى ما تقدم الاعداد الصغيرة التي يذكرها المحدثون في مختلف أبواب الحديث لأصبح العدد ضخماً جداً ، وأي معنى لتواتر الحديث إذا لم يكن منه هذا العدد الكبير[1] .

ومن الحق أن نستثني من هذا العدد الاحاديث التي كررت بمتونها وأسانيدها ، ولست أظن أنها تتجاوز الثلاثين وقد جمع في كتاب غاية المرام من هذا العدد مائة وخمسة وستين حديثاً ، وأورد في كتاب ينابيع المودة ما يتجاوز المائتين ، ولنغمض عما ترويه الشيعة بطرقها الخاصة ؛ فان لهذه الروايات حساباً خاصاً وهذه الاحاديث وإن لم تشترك في لفظ وأحد ، إلا أنها تعبر عن فكرة واحدة .

أما العلماء الذين شهدوا بتواتر الحديث عن الفكرة فهم كثيرون جداً ، وهذا جدول صغير باسماء بعضهم .

(١) الحافظ محمد بن يوسف الكنجي المتوفي سنة ٦٥٨ في كتاب البيان .

(٢) أبو الحسين الآبري على ما نقله ابن حجر في الصواعق ص ٩٩

(٣) السيد مؤمن الشبلنجي في كتاب نور الأبصار ص ٢٣١ .

(٤) زيني دحلان المتوفي سنة ١٣٠٤ في كتاب الفتوحات الاسلامية ص ٣٢٢ .

(٥) ونقله هو في هذه الصحيفة عن السيد محمد بن رسول البرزنجي

---

(١) لاحظنا في تعداد الاحاديث اختلاف المتن أو السند ولو ببعض الوسائط إذا كان هذا الاختلاف يصحح جعلهما روايتين ، وقد رأينا الحافظ أبا نعيم يروي بعض الاحاديث بطرق كثيرة تتجاوز الخمسين طريقاً ويروي بعضها بثمانية طرق وبعضها عن جم غفير .

المتوفي سنة ١١٠٣ .

(٦) السيد جمال الدين عطاء الله ابن السيد فضل الله الشيرازي المتوفي سنة ١٠٠٠ نقله عن أكثر أهل الرواية .

(٧) أحمد بن محمد بن الصديق في رسالته ابراز الوهم المكنون .

(٨) الإمام الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ في كتاب التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح ، وقد نقل التواتر عن هذين الأخيرين الدكتور أحمد أمين في المهدي والمهدوية .

ولو ألقى الدكتور نظرة بسيطة على صحيحي البخاري ومسلم ، أو على بعض الكتب الأخرى التي تحدث عنها لعلم أن الامامين قد خرجا بعض الاحاديث في المهدي كما خرجها الثقاة الآخرون ، ولما شهد لهما بالفخار في صحيفة ٤١ لانهما لم يرويا من هذه الاحاديث شيئاً .

فقد حدث الحافظ أحمد بن حجر الشافعي[1] عن مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة ، والبيهقي ، وآخرين من علماء الحديث قول النبي (ص) (المهدي من عترتي ، من ولد فاطمة) .

وخرج مسلم في باب نزول عيسى حاكما قول النبي (ص) « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » ونقل الكنجي الشافعي في كتاب البيان مثل هذا عن البخاري أيضاً ، وروى مسلم « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة ، قال فينزل عيسى بن مريم (ص) فيقول أميرهم تعالى صل لنا ، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » ، وخرج مسلم أحاديث الخليفة الذي

---

(١) انظر صحيفة ٩٧ من كتاب الصواعق المحرقة .

يحثو المال حثواً في آخر الزمان .

وإذا كان بعض هذه الاحاديث لا يحمل اسم المهدي فانـه يذكـر من صفاته ونعوته ما يرفع اللبس ويزيل التوهم .

والدكتور قد اعتمد في شهادته هـذه على بحث العـلامة ابن خلدون للموضوع ، لأنه لم يرو للامامين حديثـاً صريحـاً ، ونقد أحـاديث مسلم في الخليفة الذي يحثو المال حثواً بانها لم يقع فيها تصـريح بـذكر المهـدي ، ولا دليل يقوم على أنه هو المراد من هذا الخليفة .

ومن الاحصـاء المتقدم نعلم مقـدار الجهـد الـذي بـذلـه ابن حجـر لاحصاء روايات المهدي حين وجدها نحو الخمسين ، ونعلم ايضاً ان لفظة المهدي ولفظة المنتظر ليستا من مؤسسات الشيعة ، ولا من مخترعات المختار ابن ابي عبيد كما يراه الدكتور وهذا رأي قـد لا يوافقـه عليه ابن خلدون ، ولكن الدكتور يحاول ان يخضع الحقـائق لرأيـه الخاص ثم يعتـذر عما يقـول بانه من المؤرخـين وان الفرق واضـح بين بـاحث يبحث المسائـل من حيث تاريخها ، وبين داع يخطب في تأييد مذهب أو نقده على أن التأريـخ يأبى لـه هذا الاستنتاج أيضاً وسنبينه فيما بعد .

والناظر في الصحيفة المتقدمة من كتاب المهدي والمهدوية ، يقرأ فيهـا تهمـة جريئـة يوجههـا الأستاذ الى حفـاظ السنة وأكـابر المنقـول من رجـال الصحاح والجوامع التي لا يختلف في توثيقها أهل السنة .

ولعل هذا النوع من اتهام كتب الحـديث خطوة يخـطوها الأستـاذ الى التجدد الذي يـذكره في بعض فصـول الكتاب ، وان كـان في خطوتـه هذه من المحافظين على ما يظهر لانه يشهد بالفخار للصحيحين .

وقد تسربت هذه الطريقة الفنية من النقد الى كثير من كتاب الجيل ،

وهم يقصدون بهذا تسهيل طريق الانكار إذا الجأتهم الضرورة الى انكار بعض الحقائق .

وقد رأينا مثل هذه الطريقة للعلامة ابن خلدون في فصله المتقدم ، ولعل هذه الحرية في ابن خلدون هي التي حببت الى الدكتور متابعته في كثير مما كتب حتى في هذه التفرقة البسيطة بين المؤرخ والداعي الخطيب ، والدكتور على ما يظهر شديد الاتصال بروح العلامة ابن خلدون ، وشدة الاتصال هذه تثمر وحدة في الرأي تسمى موافقة في الطبقة العالية من الادباء ، وتسمى تقليداً في الادباء الاخرين ، وكأن كتاب المقدمة هو المصدر الاول للدكتور ، حتى فيما ينسبه الى الشيعة من العقائد .

وخلاصة ما تقدم ان أحاديث المصلح المنتظر متواترة عند أهل الشرائع الأولى وأحاديث المهدي المنتظر متواترة بين فرق المسلمين كافة ، ومتواترة عند فرقة الشيعة خاصة .

وبعد هذا كله فان الشيعة الأثني عشرية لم تأخذ عقيدتها بوجود المهدي من هذه الاحاديث فقط ، وان كانت متواترة ، والتواتر من أهم أسباب اليقين .

ولكن الشيعة الأثني عشرية تعتقد بوجوده وبضرورة بقائه لأدلة قطعية اخرى وراء الاحاديث المتواترة ، وهذا ما نعرض له في الفصول اللاحقة .

المهدي في ديوان الخلفاء

يستوقفني الفكر طويلاً حين أريد الدخول الى بحث الإمامة ، وحين أحاول أن أضع بين يدي القارىء مفتاحه الأول ، فان لهذا البحث أكثر من مفتاح واحد .

لماذا اختصت الشيعة بالقول بـالامامـة ؟ ولماذا أصبحت الامـامة علماً عـلى هذه الـطائفة دون اخـواتها الاخـرى من فرق المسلمـين ؟ وهـل يمكن لاحد من العقلاء وإن لم يكن من المسلمين أن ينكر وجـوب نصب الإمام ! إذن فبماذا تحفظ الحقوق بين أفراد البشر ؟ وبماذا يرد ظلم الظالمين وعـدوان العادين ولماذا يهتم العقلاء بنصب الملوك والرؤساء ؟ .

الإمـام سلطان ، والسلطان ضرورة من ضـرورات الحياة ، والإمـام وازع يتوقف عليه بقاء الاجتماع ، لا بد من وجوده ، ولا بد من نصبه إذا لم يكن موجوداً ، وهذا أمر يستحيل أن يقع الشك فيه من أحد .

واذن فخـلاف سائـر المسلمين مـع الشيعة إنمـا يكون في شؤون هذه الإمامة وفي شرائطها .

ـ من هـو الإمام الـذي يجب نصبه ؟ ومـاذا يجب أن تجتمع فيـه من الشرائط ؟ .

ـ ومن الذي يتولى نصب هذا الإمام ؟ .

ـ وما الذي يتولاه الإمام من المهمات التي تحتاج اليها الأمة ؟ .

والناظر في علم الكلام والعقائد يرى ان هذه الاسئلة محبوكة متداخلة يظهر جواب بعضها من الجواب على البعض الآخر .

تقول الشيعة : الإمامة خلافة النبوة ، فيشترط فيها ما يشترط في النبوة .

عهدت الأمة من مؤسس الدين ملكاً لا كالملوك ، ورئيساً لا كالرؤساء وعهدت من قرآنه نظاماً لا يشبه الانظمة .

عهدت من نبيها ملكاً يخضع الدنيا لسلطة الدين ، ويقيس الاعمال بميزان العقيدة ويكوّن من مجموع هذه الأشياء وحدة لا تقبل التجزئة والتفرق ، وعهدت من قرآنها نظاماً يهدف الى هذه الغاية بجميع مواده وفصوله وهو وراء هذا كله نظام معصوم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

هكذا عهدت الأمة ملكها عند الصباح ، فيستحيل أن لا يكون كذلك عند المساء ؛ يجب أن تكون الرؤساء من لون واحد ، إذا كان القانون مستمراً على لون واحد لان تغيير منهاج السلطة في المدة القصيرة يحتاج الى تغيير كبير في نظام المملكة ، وهذا شيء لا تسوغه الشريعة ولا تسمح به العادة ، وقد يؤدي الى محاذير شديدة ، وعاقبة لا تحمد .

فيجب أن تكون للرئيس الثاني كل سلطة أو وظيفة ثبتت للرئيس الأول ، لأن النظام لم يفرد سلطة الدنيا عن سلطة الدين ، وهذا هو الجواب عن السؤال الأخير وإذا أجبنا عن هذا السؤال سهل علينا أن

نجيب عن بقية الأسئلة بعد استعراض صغير لمهمات الرئيس الأول .

(١) علمنا أن الرئيس الأول مؤسس لشريعة إلهية يستفيدها من وحي السماء ، وهذه هي المهمة الوحيدة التي لا يصح أن يشاركه فيها أحد ، لأن نظام الشريعة قد حكم بانتهاء النبوات .

وإذا لم يكن الرئيس الثاني نبياً ؛ فانه حافظ شريعة وحارس نظام ، فيستحيل أن لا يكون عالماً بدقائق هذه الشريعة ، ومحتويات هذا النظام ، وكيف يستطيع أحد أن يكون حافظاً لما لا يعلم .

ولا يكفي لاداء هذه المهمة أن يعلم أحكام الشريعة بالاجتهاد أو بالتقليد ، لأن المجتهد لا تجب إطاعته على المجتهدين الآخرين ولا على مقلديهم ، والمقلد أقل منه في المنزلة ، وأخفض منه في المرتبة ، والإمام وأجب الاطاعة على جميع أفراد الأمة من غير استثناء .

ونتيجة هذا إن الرئيس الثاني يجب أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة والقرآن ويجب أن يكون علمه هذا من غير طريق الاجتهاد أو التقليد .

ولست أقول ان هذا العلم الهامي ، فان الدكتور الجليل يستكثر على الله الذي أوحى الى النحلة ما تفعل وألهم النملة ما تترك وما تعمل ، يستكثر الأستاذ عليه أن يلهم بعض المقربين من أوليائه ما يصلح العباد من العلم وما يسددهم من العمل .

نعم ان الأستاذ يستكثر على هؤلاء المقربين ، أن يحتفظوا ببعض مخلفات الوحي من علوم المستقبل ، لأنهم يسمون الكتاب الذي يشتمل على هذه المخلفات جفراً ، وربما استكثر هذه الأنباء على الوحي نفسه ، لانها غيب والنبي (ص) يقول « ما لي ولهم يسألونني عما لا أعلم وانما أنا

عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي » أرأيت أجمل من هذه الدعوى ، وأشد مطابقة من هذا الدليل كأن الشيعة تدعي العلم لنبيها ولائمتها من غير تعليم الله .

أهكذا تنقد الحقائق أيها الاستاذ .

إلى هذا الحديث يستند الدكتور في قوله هذا ، والى الآية التي تقول : ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾[1] ولكنه يتناسى الآية الثانية التي تقول : ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**﴾[2]

وهذه النغمة قديمة سمعتها الشيعة منذ قرون ، وظنت أن المدنية الحديثة ستحدد منها بعض التحديد حين يرى الكتاب الناقدون ملوك الدنيا تعد أبناءها ليوم العرش بالثقافة الصحيحة ، وتؤسس لهم المعاهد العالية ، وان البقية من الداء ستنحسم حين يدركون الفرق الفارق بين ملك يقود الأمة لصلاح دنياها ، وإمام تطلب الأمة منه صلاح الدنيا والدين .

هذا ما أملته الشيعة حين استهل عصر الحقائق ، وهذا ما تؤمله بعد أيضاً فهل للأيام أن تحقق لها هذه الامنية وهل للنقاد المحترمين أن ينظروا الى الحقائق بغير المنظار الأول الذي خلقته الأحقاد ؛ ولم تخلقه الأيام ، ليعيش المسلم الى جنب المسلم أخاً بالمعنى الصحيح من الأخوة كما سماهم الله في كتابه ، وكما دعاهم اليه النبي في سنته .

هذا ما أوجهه الى جمعية التقريب المحترمة ، والى عضوها الجليل سعادة الدكتور أحمد أمين ، والى كل غيور من حماة القرآن .

---

(١) سورة النمل ٦٥ . الكهف آية ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة الجن آية ٢٦ .

(٢) علمنا ان الرئيس الأول لهذه الأمة يحمل رسالة مقدسة إلّهية وهو لهذه الرسالة ، يحتاج الى قوة عقلية كاملة تؤهله لأن يكون أميناً على عهد السماء ، وتعينه على أداء مهمته بالتبليغ ، وتسهل للمدعوين طريق القبول ، وتقطع عذر المعتذر وريب المرتاب ، وهذه القوة الكاملة في العقل النظري والعقل العملي هي العصمة(١) .

ويسهل علينا التصديق بهذا القول إذا علمنا أن هذه الرسالة دين يريد الله تبليغه الى عامة البشر ، وناموس يجب أن تخضع له جميع الأمم والأجيال ، وفي ذلك ما فيه من المتاعب والمصاعب ، وفي البشر ما فيهم من المكابرة والتردد في أمثال هذه الدعوة ، وفي النفوس ما فيها من التعصب لعقيدة الآباء والعادات المألوفة ، وكيف يستطيع أن يستظهر على جميع هذه العقبات ، ويبلغ عهد الله كاملاً غير منقوص إذا لم تكن له تلك القوة . . . العصمة .

أقول : كيف يستطيع أن يستظهر على جميع هذه العقبات إذا لم يكن معصوماً .

(١) لان غير المعصوم قد يخل في التبليغ ، فيزيد في الرسالة أو ينقص ، عن عمد أو غير عمد .

---

(١) يقول المتكلمون : العصمة لطف من الله عز وجل يحصل للكاملين من أفراد البشر يمتنعون بها عن ارتكاب الجرائم عمداً ، ويرتفعون عن الوقوع بها خطأ ؛ وهذا التعريف يؤول الى القوة العقلية التي ذكرناها لتفسير العصمة ؛ ويقول الخلقيون في تعريف العدالة : هي ملكة نفسانية يحصل بسببها الاعتدال التام في جميع ملكات النفس وصفاتها ، وهذه الملكة تحصل من سيطرة العقل على جميع قوى الانسان ، وإذن فمبدأ العدالة قوة في العقل ، فاذا كانت هذه القوة في أسمى مراتبها سميت « عصمة » .

(٢) وكيف يثق الناس بدعوته مع هذا التجويز .

(٣) وكيف يصدقونه في رسالته إذا رأوا من فعله ما يناقض قوله ، والناس يقيسون أعمال الانسان بعضها على بعض ، وخصوصاً في هؤلاء المثاليين الذين يريدون أن يكونوا ادّلاء للناس على الخير ، وقادتهم الى الهدى .

(٤) يمتنع أن يكون النبي غير معصوم ، لأن اتباعه وأجب على أفراد الأمة في كل ما يقول وفي كل ما يعمل ، ووجوب اتباعه هذا بحكم الكتاب وبحكم العقل ، فيكون صدور الخطايا منه سبباً لحصول التناقض في أحكام الله .

(٥) ولأن ارتكاب الجرائم يوجب له الفسق ؛ فيجب رد شهادته بحكم الكتاب .

هذا نموذج صغير من الأدلة التي تقيمها الشيعة على عصمة الأنبياء ، وما أكثر أدلتهم على ذلك ، وإذا بلغ إحصآء الأدلة على عصمة الإمام الى ألفي دليل[1] فكم يبلغ إحصائها على عصمة النبي (ص) .

بهذا وبأمثاله يستدل الشيعة على ما يعتقدون ، والعقيدة إذا استندت الى أمثال هذه الحجج أصبحت يقينية لا تقبل التشكيك ، والحكم العقلي إذا كان يقينياً لزم أن يرد كل حديث يضاده ، وان تؤول كل آية يفهم منها ما يخالفه ، لأن اليقين لا يقابله أي دليل آخر لانه يكون معلوم الكذب .

هكذا يستدل الشيعة على عقيدتهم بعصمة الأنبياء ، أما الدكتور فانه

---

(١) أنظر كتاب الألفين للعلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي المتوفي سنة ٧٢٦ للهجرة .

يستدل على عدم العصمة في النبي (ص) بـالحديث الـذي يقول : « تـوبوا الى ربكم فاني أتوب اليه في اليوم مائة مـرة » والحديث الـذي يقول : « انـه ليغان على قلبي » .

أنظر بربك انظر ، ثم احكم ان استطعت الحكومة .

يقـول الحديث الأول : إن النبي يتـوب في اليوم مـائة مـرة ، والمعنى الظاهر من هذا انه يذنب في اليوم مائة ذنب ، ويقول الحديث الثـاني : إنه ليغان على قلبه ، والغين إحاطة الرين بالقلب . . .

هذا شأن سيد الأنبياء في فكرة الحديثين أيها الأستاذ وهل يتصور هذا في غير المستهترين من الناس ، واذن فلا بـد من تأويـل الحديثـين إذا صح سندهما ، ولا بد من ردهما إذا لم يكونا صحيحين .

ولو أردنا أن نستعرض هذا النوع من الروايات لوجدنا ألواناً عجيبـة من التهم والجرائم الأخلاقية والاجتماعية تنسب الى الأنبياء الـذين أئتمنهم الله على شرائعه ، وائتمنهم الخلق على هدايتهم .

وبعد فان عقيـدة المسلم أرفع شـأناً من أن تؤسس عـلى أخبار آحـاد مشوشة المعاني ، وهي وراء هذا الاضطراب مناقضة للبرهان .

لا بد أن يكون النبي منزهاً عن الآثـام لما ذكـرناه من الأدلـة ، ولما لم نذكره ؛ وإذا امتنع عليه أن لا يكون معصومـاً لأنه نبي ، وجب أن يكـون الرئيس الثاني معصوماً أيضاً لأنه إمام ، والإمام يحتضن الأمانة المقدسة التي أودعتها السماء بيد الأمين الأول .

لا أقول ان الامام يصبح نبياً كالرئيس الأول ، لأن النبوة قد ختمت بنص الكتاب ، ولكني أقول : الإمام هو الأمين الثاني على الشريعـة ، وهو

القائم على تبليغها بعد الرسول ؛ والشريعة تحتاج الى حافظ يقوم برعايتها في مرحلة البقاء والاستمرار ، كما تحتاج الى مبلغ يقوم بنشرها عند التأسيس ، وكلا هذين الحافظين يجب أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ، .﴾[1] .

وإذا تماثل الرئيسان في المهمة وجب أن يكونا متكافئين في العصمة .

(١) لأن الامام واجب الاتباع بنص الكتاب ، وقطعي السنة فاذا لم يكن معصوماً جاز أن يأمر بما يخالف حكم الله ، فيكون ذلك تناقضاً بين أحكام الله .

(٢) ويكون الالزام بطاعته سبباً لنقض الغرض .

(٣) ولأن غير المعصوم قد يخفى عليه كثير من الأحكام فلا يتمكن أن يكون حافظاً لأحكام الشريعة ، وقد كلفه الله بذلك .

(٤) ولانه إذا جوّز على نفسه الخطأ في العمل أو في الاستنتاج وجب عليه أن يتبع غيره لئلا يقع في الخطأ ، وإذا اتبع غيره سقط وجوب اتباعه على الناس ، لقوله تعالى : ﴿**أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾[2] الإمام مرجع الأمة العام بعد موت نبيها ، إليه ترجع إذا اختلفت ، ومن علمه تأخذ إذا جهلت ، والإمام مصدر الأمة فيما يتجدد من الأحكام التي لم يوضحها الكتاب ، ولم تبينها السنة .

فمن اللازم أن يكون هذا المصدر أعلم الأمة بدينها وأصدقها في القول والعمل والشرع الذي يعتبر في شاهد الدعوى أن يكون عدلاً ،

---

(١) سورة الحجر آية ٩.   (٢) سورة يونس آية ٣٥.

ويشترط في القاضي أن يكون نزيهاً ، أرفع من أن يأتمن على مقدرات الأمة خائناً يتحكم في نفوسها وأموالها بما يتأول من نصوص الكتاب ، وبما يفسر من متشابهات السنة نعم ان الشريعة أرفع شأناً من أن تأتمن مثل هذا على مقدرات الأمة ، ثم تأمرها بلزوم طاعته ، وتحذرها أشد التحذير عن مخالفته وتحكم ان من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية »[1] .

وسواء أكان وجوب نصب الامام حكماً عقلياً كما يقول بعض الحكماء ، أم كان سمعياً كما تقوله طائفة من المسلمين ، فان هذه النتيجة لا يجوز أن تختلف » ولا يمكن أن تتخلف .

هكذا شاء البرهان لهذه الأمة أن تعتقد ؛ وأن تجري على هذا الاعتقاد فيما تعمل ، وهكذا شآء لها القرآن أيضاً ، ولكن التاريخ شاء لها أن تختار ، وأن تكون غير معصومة في هذا الاختيار ، وأن تكون مخالفتها هذه سبباً لنتائج معقدة يدونها تأريخ المسلمين من حيث يحب ؛ أو من حيث يكره .

ولأعرض عن ذكر هذه المآسي التي قلبت تأريخ المسلمين الى يومهم الأخير وحكمت على جهود النبي ، وجهود المخلصين من أنصاره بعقم الانتاج ، لأعرض عنها فان الحديث شجي وشجون ، ولعل دموع القلم تجري قبل دموع الكاتب ، لأعرض عنها لأني لا أكتب في التأريخ ، ولا أود أن أكون من المؤرخين ، ولست في ضرورة الى تعليل هذه الكراهة .

من ههنا أتى المسلمون أيها الأستاذ ، لا من فكرة المهدي ، ومن هنا

---

(١) أنظر صحيح البخاري كتاب الفتن .

ابتدأ الخلل في صفوفهم ، وأي معنىً لخلل الصفوف غير اختلاف العقيدة .

وما الذي يضر بفكرة المهدي إذا اتخذ المغرضون منها آلة لدعاياتهم ؛ ونسجوا حولها خيوطاً من الآمال ، وما الذي يضر بهذه الفكرة إذا اتضح للناس بعد ذلك كذب الكاذبين وضلال الضالين .

لقد ادعى النبوة كثيرون في التاريخ ، ثم اتضح للناس كذبهم وضلالهم ، فلم يأخذ أحد من الناس هذا دليلاً على ابطال فكرة النبوة ، وقد جرى مثل هذا في الربوبية منذ القديم .

ولو أردنا أن نبطل كل حق يتشبه به المدعون الكاذبون لأبطلنا كل حقيقة موجودة .

. . . هذا هو المقياس الذي يبتكره الأستاذ في كتاب المهدي والمهدوية ، وهذا هو الدليل الذي يبني عليه إبطال فكرة المهدي ، والاصلاح المنتظر . . .

لا . . . لا . ، أيها الأستاذ . ، « ما هكذا تورد يا سعد الابل » .

تخلف المسلمون يوم تخلفوا عما خطه لهم البرهان وحدده لهم القرآن ، وانحلت صفوفهم يوم ابتدأ الانحلال في عقيدتهم ، وكان من الضروري لهم أن يتراجعوا الى الوراء من ذلك العهد ، لولا حنكة في قادتهم الأول ، وثبات في بقية العقائد .

فكان الفضل لهؤلاء القادة في تحويل التأخر المحقق الى حركة بطيئة نحو الاتجاه الأول ؛ وكان الوقوف في آخر عهد الخلفاء الراشدين ، وكان التراجع الى الوراء بعد ذلك العهد .

من هٰهنا أتى المسلمون أيها الأستاذ ، ومن هنا ابتدأ الخلل في صفوفهم ؛ فهل تريد مني أن أقدم لك بعض أدلة الشيعة على أن الخيَرة لله في تعيين الامام لا للأمة . . . ، اذن فاستمع :

(١) علمنا مما تقدم ان الإمام يجب أن يكون عالماً بجميع أحكام الشرع وأن يكون علمه بذلك من غير طريق الاجتهاد أو التقليد .

وعلمنا أن الإمام يجب أن تكون له قوة عاصمة ، يمتنع بها عن ارتكاب الأثام ، وعن الوقوع في الجرائم عن عمد أو غير عمد ، وهذان هما الشرطان الأساسيان في خلافة النبوة ولا يهمنا أن نثبت بقية الشرائط الأخرى في الإمام فان لها كتباً أخرى .

وكلا هذين الشرطين من الأمور التي تخفى على الأمة ، وعلى أهل الحل والعقد منها ، فكيف يصح أن يوكل اليها تعيين الامام .

(٢) كلنا نعلم اختلاف الأمة في شرائط الإمامة ، فإذا كان تعيين الامام بيدها ، كان من الضروري أن تختار كل جماعة من الأمة ما يوافق مذهبها في الامامة ولا تنزل لأخواتها عما تقول ، فيلزم اختلاف كلمة الأمة الى غير اجتماع ، وليس بعض هؤلاء الأئمة أحق بوجوب الاتباع من البعض الآخر ، فيؤدي الى إراقة الدماء الزكية .

(٣) وأخيراً الى استحالة الاختيار ، واستحالة الامامة اذا انحصر أمرها بالاختيار ، وفي النتائج السوداء التي وقعت في عهد علي ومعاوية ، وفي زمان الحسن والحسين ما يثبت وقوع ذلك وانه ليس مجرد فرض .

(٤) يمتنع في العادة أن يطلع جميع أفراد الأمة ، أو جميع أهل الحل والعقد من الأمة على اجتماع شرائط الامامة في واحد معين من افراد

المسلمين ، حتى إذا كانت هذه الشروط متحدة لا خلاف فيها بين الجميع لأن الاطلاع يحتاج الى معاشرة طويلة لذلك الشخص ، وهذا غير ميسور لجميع أفراد المختارين وخصوصاً إذا كثر عدد الأمة ، واختلفت بلادهم . وتخصيص الاختيار ببعض الأمة استيثار يقبحه العقل ، والشرع ، وتمنعه المصلحة العامة المشتركة .

(٥) علمنا أن غير الشيعة من فرق المسلمين تكتفي بالعدالة في الإمام ولنفرض أن الشيعة وافقتهم على ذلك ليكون شرط العدالة اجماعياً بين المسلمين ، فهل يكفي هذا لاجتماع كلمتهم حين يختارون .

وهذا الاختلاف الكبير في معنى العدالة وفي شرائط وجودها ، ألا يكون حائلاً عن الاجتماع ، والوحدة في الاختيار .

نعم ان هذا الاختلاف من أعظم الموانع ، وكل من تتبع آراء المسلمين في تعريف العدالة ، يعلم مقدار البون الشاسع بين هذه المذاهب فلو رجع الاختيار الى الأمة لم يمكنها الاجتماع ، إلا أن يكون الحق لشيء آخر وراء العدالة والاختيار .

يستحيل على الأمة أن تختار ثم تجتمع على هذا الاختيار مع هذه الفوارق العظيمة بين الآراء والمذاهب إذا استثنينا الجهات الشخصية التي تجعل الاجتماع أكثر بعداً وأشد استحالة .

وإذا استفتينا تأريخ المسلمين الأول ؛ وجدنا السلف المتقدم لم يستطع أن يطبق نظام الاختيار بالمعنى الصحيح من التطبيق ، وحديث الفلتة التي وقى الله المسلمين شرها معروف عن الخليفة الثاني (رض)

يرويه المؤرخون والمحدثون على السواء[1] .

ولعل هذه الاستحالة هي السبب الحقيقي لعدول الخليفة الأول (رض) عن الاختيار الى النص على من يخلفه من بعده .

أما الخليفة الثاني فقد جعل الأمر مزيجاً من النص والاختيار ، ولست أريد التوسع في هذه المباحث لأن هذا التوسع يبعدني كثيراً عن الغرض الأول .

الفت العرب فكرة الشورى ، وتحكيم أهل الحل والعقد منذ القديم ، فكان من الصعب عليها أن تجنح لحكم البرهان ، وكان من الضروري لهم أن يطبقوا النظام القديم الموروث بما يمكنهم من التطبيق ، وخضعت طائفة أخرى من المسلمين لحكم البرهان هذا ، فكان من الضروري لهؤلاء أن يختاروا لأنفسهم ما اختاره الله لهم **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[1]. وكان من الضروري لهم أيضاً أن يسايروا الحكومة الرسمية القائمة حفظاً لدماء المسلمين أن تراق ، وصوناً لكلمة الأمة أن تتفرق ولصفوفها أن تحل ، والعقيدة هي العقيدة .

وهذا ما تسميه الشيعة (تقية) ، وقد سماها الله تقية حين شرعها في كتابه : **﴿ألا أن تتقوا منهم تقاة﴾**[2] .

وبعد قرون وشؤون أصبحت حكومة البرهان حكومة سرية تعمل لتفريق كلمة المسلمين ، وأصبح الفريق الذي يعضده القرآن حزباً سياسياً يعارض الحكومة القائمة وعادت فكرة المهدي تعلة بسيطة يتعلل بها ضعفاء وترهم الحاضر فابتسموا للمستقبل ، وحرمتهم اليقظة فاستسلموا للخيال ،

---

(١) أنظر صحيح البخاري ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة .

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٨ .

وكونوا مذهبهم من هذا الخوف ومن هذا الرجاء .

هذا هو رأي الدكتور أحمد أمين ، ورأي فريق كبير من أدباء النقد الصحيح ، والرأي الحر ، ومهما عشت أراك الدهر عجباً .

هذه قائمة أسماء الأئمة الاثني عشر ، وهذا تأريخهم الأحمر الباكي ، وهذا تأريخ شيعتهم المظلوم حتى من نواحي تاريخيته، إقرأ جميع ذلك بامعان إذا استطعت أن تقرأ الحقائق الباكية .

إقرأ جميع ذلك ثم انظر : أي ثورة أقامها هذا الفريق ضد حكومة قائمة ، وأي حركة إرهابية تزعمها أحد هؤلاء الأئمة المظلومين ، إذا استثنينا الحركات التي وقعت على عهد علي والحسن ، والتأريخ يقول لنا أن هذه الحركات إنما كانت لقمع العدوان ضد الحكومة الشرعية القائمة كالحركات التأديبية التي وقعت على عهد الخليفة الأول .

أما نهضة الحسين ، وأظن أن هنا بيت القصيد ، فقد عدّها الدكتور من أهم الأحداث المتصلة بفكرة المهدي أما هذه النهضة فلم يكن الحسين يعترف ليزيد بحكومة ظاهرية ، وأي حكومة مستقرة يعترف بها الحسين ، وهو يرى العراق يراسله بالبيعة ، والحجاز يتحفز للوثبة ، والجزيرة على مثل البركان ، وأقطار المسلمين الأخرى على ما يشبه هذا .

وكيف يستطيع الحسين أن يقف موقف المتفرج من هذه الأحداث ، وهو في العدد الأول من زعماء المسلمين وقد علم من خفايا يزيد ما علمه الآخرون من ظواهره ، وكيف يتركه المسلمون أن لا يعمل ، ومن الذي يعمل إن لم يكن الحسين هو ذلك العامل .

وأخيراً فقد قتل الحسين يوم الطف ، وكان مقتله بداية عهد جديد للشيعة ، وقد تلونت عقيدتهم بالدم ، وتشربت أعمالهم بالدموع ، ولكنهم

أخلدوا بـأمر أئمتهم الى السكـون وأحاديث الأئمـة من أحفـاد الحسـين في تسكين الثورات القائمة والتنديد بالثائرين من أولاد الحسن والحسين كثيـرة جداً ، إذا استثنينا حركة المختار ، وحركة زيد بن علي بن الحسين .

أما الذي يكون شوكة في جنب الدولة القائمـة يهد من كيـانها ، ويهز من عرشها فهو الظلم الذي اتصف به رؤسـاء هذه الـدول ؛ واراقة الـدماء التي عصمها الله في كتابه وهو نتيجـة مباشـرة للتعدي عـما حده البـرهان ، وأوضحه القرآن في معنى الامامة .

وأمـا الفـرس فـانهم لم يـظهـروا التشيـع لنسب مشيـج بينهم وبـين العلويين ، وقد كان بينهم وبين العباسيين نظير هذه القربى .

وكأن الأستاذ حين تعرضه لهذه النـاحية قـد نسي أنه من المؤرخـين ، وأن التأريخ ينكر عليه هذه النتيجة . لأن الفرس لم يكونـوا شيعة في بـداية الأمر ولم تعرف العامة من الفارسيين مذهب أهل البيت إلا في عهـد الإمام علي الرضا (ع) ، ولم ينتشر التشيع في أقطار فارس انتشاراً تامـاً إلا في عهد السلطان محمد خدابنده المغولي ، وفي زمان العلامة الحلي[1] لقصة يذكـرها بعض المؤرخين في حوادث سنة ٧٠٧ من الهجرة .

وهذا التفويض الألهي الذي آمن به الفارسيون من زمان الأكاسـرة ؛ وكان هو السبب في رضاهم عن أولاد فاطمة ، لم يفهم معناه ، ولا عـلاقته بمذهب الشيعة في الامامة لأن الشيعة يقولون بوجوب تعيين الامـام من قبل الله على لسان النبي (ص) والفرس الذين يتشيعـون يعتقدون بهـذه العقيدة أيضاً ، وهذا يخالف معنى التفويض في الإمامة .

---

(١) الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الشهير بالعلامة الحلي المتوفي سنة ٧٢٦ .

ولعل نظرية التفويض قريبة من معنى الاختيار الذي عليه غير الشيعة من المسلمين لأنهم يقولون : ان نصب الامام مفوض الى اختيار الأمة ، وتعيينها .

ولعل الأستاذ يعبر عن الفيض الالهي بالتفويض لانها يلتقيان بالاشتقاق الكبير .

وإذا كان الفارسيون يؤمنون بنظرية الفيض الالهي في الامام ، فاي نكر في هذا الاعتقاد إذا حتمه الدليل ، والفيض الالهي اصطلاح للفلاسفة يريدون به الوجود المعلول إذا حذفت منه التعينات التي تسبب الكثرة ، ويسمونه أيضاً الفيض المقدس .

وقد يعبرون بالفيض الالهي عن الكمال في صفة من الصفات ، فاذا كان الرجل عالماً بارعاً قالوا ان الله خصه بفيض من عنايته ؛ ويريدون بهذا أن الانسان مفتقر الى عناية الله في كل ناحية من نواحيه ، وهذا المعنى هو المراد في الامامة ونحن إذا اشترطنا في الامام أن يكون معصوماً ، وأن يكون أعلم الأمة وأتقاها وإذا اشترطنا أن يكون تعيينه من قبل الله تعالى ، كان ذلك اعترافاً منا بنظرية الفيض الالهي .

أليست جميع هذه الكمالات التي نشترطها في الامام فيضاً من فيض الله ، ونفحة من رحمته ، أليس الامام قبساً من نور الله يهتدي به الضالون ، وأي فائدة لامامته إذا فقدت منه هذه الخاصة .

وكأن الدكتور يفهم من الفيض الالهي ، أو القبس الالهي معنى الحلول أو معنى الاتحاد اللذين تنكرهما الشيعة وتكفر من يعتقد بهما ، والدكتور يريد أن يكون حراً في التفسير كما هو حر في الرأي ، وإن كانت الحرية في التفسير محرمة على الناقد النزيه .

منعتنا الأدلة العقلية المتقدمة أن نصدق نظرية الاختيار في الامامة ، وأحالت أن يكون للأمة حق في تعيين الامام .

والقرآن . . . ماذا يقول لنا القرآن في ذلك ، وهل أهمل القرآن حكم الإمامة ، كما أهمل النبي أمر الإمام ، وهو الذي يأمر الناس بالوصية حتى بأبسط الاشياء .

ماذا يقول القرآن في أمر الإمامة .

ألم يجعلها الله عهداً له في خطابه لابراهيم ، ألا تسمعه حين يقول : **﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾**[1] الإمامة عهد الله فلا يتولاه أحد إلا بأمره ، والإمام أمين الله على هذا العهد فلا يعينه أحد سواه .

وفي الآية الكريمة نظرات تتعلق بالامامة يذكرها المفسرون والمتكلمون ويشير اليها أهل علم الحديث .

الأمامة عهد الله ، والإمام ولي ذلك العهد ، هكذا يقول لنا القرآن ، وأي بيان أجمع لشرائط الامامة من هذا التعبير .

هل يمكن أن يعين الله لعهده من لا يؤمن عثاره من الناس ، أو من يجوز عليه أن يغير شيئاً من الاحكام أليس هذا من التناقض الصريح ، واذن فالإمام معصوم يستحيل عليه الخطأ .

وهل يجوز أن يأتمن على الأمة من لا يفي بحاجتها من العلم ، ولا يقوم بتسديدها في العمل ، أليس هذا مفتاحاً للطعن في حكمته ، وللتشكيك في عهده ؛ وإذن فالامام أعلم الأمة وأتقاها ، وأشدها صلة بالله .

---

(١) سورة البقرة اية ١٢٤ .

والآية الكريمة تجري في هذا البيان على نهج مألوف بين الناس فان الملوك طالما سمت الولاية من بعدها عهداً ، وسمت خلفاءها أولياء ذلك العهد ، أفتريد في أمر الامامة أوضح من هذا التعبير .

وقوله تعالى : **﴿أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾**[1] وهذه الآية الكريمة تفرض علينا وجود شرطين في الشخص الذي نتبعه .

(١) أن يهدي الى الحق ، فلا بد أن يكون عالماً بالحق ظاهره ومستوره .

(٢) أن لا يكون محتاجاً في هداية نفسه الى إرشاد غيره وهذا هو معنى العصمة ، والتسديد الالهي ، وهذان هما الشرطان الأساسيان في الامامة ، اللذان أثبتهما الأدلة المتقدمة .

لم يهمل القرآن أمر الإمامة ، ولم يهمل النبي أمر الوصية ، ولكن الأمة تقول انهما أهملا ذلك ، والتأريخ يساعد الأمة على ما تقول ، لأنه كتب بكف من أكف الأمة ، وهل يعقل أن يخالف التاريخ عقيدة المؤرخ ، وأرجو أن يكون اجتهاد أكابر الأمة خير عاذر لهم عن هذا القول الذي كان بذرة للخلاف بين المسلمين .

ما معنى إذهاب الرجس عن أهل البيت الذي شهد به القرآن ، وما معنى التطهير الذي حصره بهم دون غيرهم ، أليس هذا شهادة بالعصمة ؛ وترشيحاً للامامة .

وما معنى هذا التقارن التام بين الثقلين الذي يشهد به النبي الأمين

---

(١) سورة يونس آية ٣٥.

في حديث الثقلين حين يقول : « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » ، ويقول : « ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا ، » ، أليست هذه وصية بالاتباع وشهادة بالعصمة .

وحديث الثقلين مستفيض بين علماء الحديث ، وقد رواه نيف وعشرون صحابياً على ما يقول ابن حجر في الصواعق المحرقة .

العترة والكتاب ثقلان مقترنان ، والتمسك بهما حافظ للأمة عن الوقوع في الضلال ، والعترة لا تفارق الكتاب حتى يردا على النبي الحوض .

فإذا كان الكتاب معصوماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد أن تكون العترة نظيره في ذلك ، لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، فلو كانت العترة غير معصومة جاز عليها أن تخطىء فتفارق الكتاب .

وإذا كان الكتاب محيطاً بعلم كل شيء ، وفيه تبيان كل شيء لأنه يقول : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1] فلا بد أن يكون الثقل الثاني مثله في هذه الاحاطة ، لانهما لن يفترقا أبداً حتى يردا عليه الحوض .

وإذا كان الكتاب خالداً الى اليوم الأخير لأنه نظام الشريعة الخالدة ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فلا بد أن يكون قرينه من العترة باقياً الى اليوم الأخير أيضاً لأنهما لن يفترقا حتى يردا على النبي الحوض .

هذا ما يقوله النبي (ص) في هذا الحديث ، ولكن الأمة تقول ان النبي أهمل الوصية ، والتأريخ يساعد الأمة على ما تقول .

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٨ .

ولست أريـد أن أمضي مع الحـديث الى حـد بعيـد ، وأتعقب هـذه النتائج التي يلقيها النبي الأمين ، ولست أريد أن أكرر قـائمة أسـماء الأئمة من أهـل البيت ، قرنـاء الكتاب وأمنـاء الرسـول ، فـان لها كتباً أخـرى وضعت في علم الكلام ومباحث العقائد .

ولكني أريد أن أقول : ان المهـدي صفة لخـاتم هؤلاء الأمناء الـذين شهد لهم الكتاب بالتطهير ، وجعلهم النبي (ص) قرنـاء للكتاب ، فـلا بد أن يكـون موجـوداً لأن العترة والكتـاب لا يفتـرقـان حتى يـردا عـلى النبي الحوض ، وليكن بعد ذلك ظاهراً أو مستوراً .

هؤلاء هم الأئمة من أهل البيت في رأي الكتاب ، وهؤلاء هم نجوم الاهتـداء في رأي السنـة ، وهؤلاء هم رجـال العتـرة في رأي النبي الأمـين حـين يخلفهم في الأمة ، وحـين يضمن لـلأمـة عـدم الضـلال إذا تمسكت برشدهم .

أما أئمة أهل البيت في التاريخ فقد ذكرت لنا كتب الرجال والتراجم من عمـوم المسمين ، أنهم العـابدون الـزاهدون الـذين لا يعصـون الله مـا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وأما هؤلاء الأئمة في رأي محمد بن أدريس الشافعي فانه يقول :

ولما رأيت النـاس قـد ذهبت بهم مـذاهبهم في أبحـر الغي والجهـل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبـل الله وهـو ولائهم كما قد أمـرنـا بـالتمسـك بـالحبـل

وأمـا هؤلاء الأئمة في رأي الـدكتور أحمـد أمين فـانهم « يختفـون عن الأعين ويرتكبون ما يرتكبون من الأثم » وان المأمون قد ولى علياً الرضا من

بعده « ليظهر للناس أن هؤلاء يعيشون على الوهم والخداع »[1] أنظر بربك انظر ثم احكم ان استطعت الحكومة . . .

من الحق أن أمسك عن التعليق هنا ، فان الذي لا يبالي بما يقول يسهل عليه أن يقول كل شيء ، ولو طالبنا الدكتور ببينة ما يقول لأحرجناه أشد الحرج .

ليرتكب الأئمة الاسماعيليون ما يرتكبون من الأثم وليدون التاريخ لهم كثيراً من الجرائم ، وكثيراً من البذخ والاستيثار ، وليرتكب الدعاة الفاطميون والقرامطة أمثال ذلك وأضعافه .

ليفرض جميع ذلك فهل يصح لعاقل أن يجعل هذا دليلاً على أن الأئمة من أهل البيت يرتكبون الأثم ، ويعيشون على الخداع .

هذه أقيسة الدكتور التي يقيس بها الرجال ، وهذه موازينه التي يستنتج بها التاريخ .

من الحق أن أمسك فقد أوعدت أن لا أعلق شيئاً على هذا ، وإن سيرة الامام علي الرضا ، وسيرة الأئمة من آبائه وأبنائه التي يرويها التأريخ كفيلة برد هذا العدوان .

ولعل في ارتكاب الأئمة الاسماعيليين وظلمهم دليل جديد على عصمة الأئمة الاثني عشر وتسديدهم ، لأن العصمة لم تدع لأحد من الناس غير هذين الفريقين ، فإذا وجب وجود الإمام المعصوم بحكم البرهان ودلالة القرآن وإذا انتفت العصمة من الاسماعيليين لأنهم يرتكبون الآثام ثبتت للفريق الآخر لأن غير هذين الفريقين ليس معصوماً بالاجماع .

---

(١) أنظر صحيفة ٦١ من كتاب المهدي والمهدوية .

وقد تكرر في جوامع الحديث ذكر الخلفاء الاثني عشر من قريش ، وفي الصحيحين عدد غير قليل من هذه الاحاديث أيضاً ، كقوله (ص) في صحيح مسلم : « لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة . . . كلهم من قريش » وفي صحيح البخاري « يكون بعدي اثنا عشر أميراً ، وقال كلهم من قريش » .

والمتتبع يرى ارتباكاً شديداً بين شراح السنة في شرح هذه الاخبار ، وفي تطبيق هؤلاء الخلفاء الاثني عشر وربما التجأ بعض الشراح الى إدخال يزيد المستهتر ، والوليد الفاجر في ضمن هؤلاء الخلفاء الذين يكون الدين عزيزاً على عهدهم على ما في بعض حمل الحديث .

وهذا الباب الطويل الذي يعقده علماء الحديث في أن الأئمة من قريش ، وهذه الروايات الكثيرة التي تكرر هذا القول ، طالما وقف النقاد أيضاً عندها فطال منهم الوقوف ، ما معنى اختصاص الامامة بقريش إذا حصل غير القرشي على ثقة المسلمين ، وعلى العصبية التي يشترطها ابن خلدون في الملك ، وما معنى تدخل الحديث في تعيين الامام إذا كان اختياره من حقوق الأمة وحدها ، وما معنى تمسك المهاجرين يوم الخلافة ببعض النصوص لحرمان الأنصار .

أليست هذه المميزات تحويراً في معنى الاختيار ، أليست هذه النصوص توضح للأمة ان وجه المصلحة قد يخفى عليها .

يعين النبي الامامة في المهاجرين دون الأنصار ، وفي قريش دون سائر المسلمين ، ليرفع الاختلاف من الأمة على قريش ، ثم لا يهمه أن يقع الاختلاف بين المهاجرين من قريش بعد هذا الترشيح ، وهذا الاغراء ، وقريش هي قريش التي لم تخضع للإسلام إلا بعد عناء وبلاء ،

والأمة هي الأمة في مذاهبها وآرائها ، ونبي المسلمين هو نبيهم في عطفه ورأفته عليهم ، وموقف الموتورين من قبل الاسلام وهو موقفهم في غموضه واضطرابه .

لم يهمل النبي أمر الوصية ، ولكن الأمة تقول انه قد أهمل ، والتاريخ يساعدها على ما تقول ، لأنه كتب بكف من أكف الأمة .

ترك النبي خليفتين لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض وشهد القرآن لكل واحد من هذين الخليفتين بالعصمة والتسديد ، وهذا هو المبدأ الحقيقي لفكرة المهدي .

فكرة المهدي نشأت من القول بضرورة وجود إمام معصوم في كل جيل حافظ للشريعة ، وقرين للكتاب .

وفي الخاتمة من سجل الخلفاء الاثني عشر ، وفي العدد الأخير من قائمة أسمائهم يقع اسم الامام المهدي المنتظر .

وإذا حتم الدليل وجوده وبقائه لأنه الفرد الأخير من قرناء الكتاب ، وإذا أثبت القرآن عصمته وإمامته لأن البقية الباقية من أهل آية التطهير ، فليكن مستوراً إذا أوجبت عليه الظروف أن يستتر ، فان الاختفاء لا يضر بشأن من شؤونه، إذا كان غيره سبب هذا الاختفاء ، كما لا يضر بالشمس سترها من وراء السحاب.

مع الناقدين

لبست فكرة المهدي أشكالاً متنوعة من البحث ، ومرت عليها ألوان مختلفة من الجرح والتعديل ، وأولاها الباحثون على اختلافهم مزيداً من الاهتمام ؛ وكثيراً من العناية ، تفنن الناقدون لها في النقد ، والمؤيدون لها في التأييد ، واستخدموا في نقدها وفي تأييدها الأدب المنظوم والمنثور وأن أساء الأدب كثير من أولئك في نقدهم ، فكان من الضروري أن يقابلهم هؤلاء بالمثل .

ولو جمعت هذه المناقضات لكانت مجموعة نادرة من وحي التناقض في العقيدة يضحك لها الأدب ، ويأسف لها الاسلام ويبكي لها نبي الاسلام .

وفي آخر من جاء من نقاد هذه الفكرة سعادة الدكتور أحمد أمين ، والدكتور مؤلف كبير حين يكتب في التأريخ ، وهو أديب ماهر حين يترجم أو ينقل ، إذا كان في الترجمة والنقل ما يسمى أدباً ، ولكن الدكتور يفقد معنويته حين يحاول أن يكون من الناقدين .

هذا ما توسمته في الدكتور أول يوم رأيته فيه ناقداً وقد ضمنت لي

القراءات المتابعة صحة هذا التوسم ، وكأن الدكتور تعوزه الحاسة الدقيقة التي تعين له المفصل من الرأي ليوقع الضربة الفاصلة ، وهذا أهم ما يحتاج اليه الناقدون .

والحق أني لم ألق كبير عناء في نقد آراء الاستاذ في كتاب المهدي والمهدوية ؛ لأن مواضع الخلل فيها ظاهرة جداً ، وقد رأى القارىء كثيراً من هذه الآراء في الابحاث المتقدمة ؛ وعلم مبلغها من العلم ، وسيقف على البقية منها في بقية الكتاب .

ونحن يمكننا أن نصنف النقود التي يذكرها الدكتور الى صنفين :

الصنف الأول النقود التي تتعلق بنفس الفكرة .

الصنف الثاني النقود التي تتعلق بشؤون الفكرة ؛ وأدوارها في التأريخ والمذاهب ، والصنف الأول هو الذي عقدنا له هذا الفصل ، وسيكون الصنف الثاني موضوع بحثنا الآتي .

يشيد الاستاذ بذكر العقل ، ويؤمن بحكومته أشد الايمان ، ويجعل له الحكومة الفاضلة في رد الحديث ونقده ويدعو الى تحكيمه في فكرة المهدي ، وفي الأحاديث التي نقلت في المهدي ؛ وهو بهذه الفكرة من المنصفين ، ونحن نرحب بقوله هذا ونؤيده أتم التأييد ، على أن يكون معنى العقل الذي تجعل له الحكومة هو البرهان الصحيح الذي لا ينتقض ولا يمكن أن تتخلف له نتيجة .

ولذلك وجب علينا تأويل كل آية دلت بظاهرها على تجسيم الله ، وتشبيهه حين قام البرهان العقلي على استحالة ذلك ، ونبذنا كل رواية ناقضت هذه العقيدة وإن كانت مروية في الصحيحين .

ولذلك أيضاً أولنا كل رواية أو حديث دل على نفي العصمة عن الأنبياء والأئمة ، ورددنا كل حديث لا يمكن فيه التأويل حين اضطرنا البرهان الى القول بعصمتهم .

والسر في ذلك ان البرهان يقيني ، ونتيجته لا تقبل التشكيك ، ولا يمكن فيها الانتقاض ، ولا قيمة للدليل إذا كان اليقين على خلافه لانه يكون معلوم الكذب ، أما الآيات فيجب تأويلها لأنها لا تخالف المعقول ، وهذا شيء لا أظن أن يقع فيه خلاف من أحد .

أما إذا فسر العقل الذي يدعونا الدكتور الى تحكيمه بمشتهيات النفوس ، وموافقة الميول ، فلا يؤمن بحكمه منصف ولا يلتفت اليه عاقل ، لأن هذه الميول متنوعة مختلفة ، وليس نفس ميولها ومألوفاتها ، ومن الجور أن نطلب من الدليل الواحد أن يوافق جميع هذه الميول ، وتخصيص ميول الدكتور دون غيره استيثار يمنعه هو في كتابه الأخلاق .

من المضحك جداً أن نجعل موافقة الميول والمألوفات ميزاناً في جرح الأخبار وتعديلها ، والدكتور حين يدعونا الى ذلك فهو يذكرنا عهد الطفولة الحبيب ، حين كنا ننكر كل خبر يخالف مالوفاتنا ، لا يعقل أن يكون في الدنيا ماء اجاج ، لأن الفرات يفيض بالماء العذب .

وكيف يعقل أن يتطاير الماء شرراً إذا تلاطمت أمواجه في الوقت المظلم .

وكيف يعقل أن يجري الماء على اتجاهين متعاكسين ثم يزيد وينقص لأنا نرى الفرات يجري على اتجاه واحد وهو لا يزيد ولا ينقص إلا في أيام الزيادة .

إذن فكل ما يحدثنا به أصدقاؤنا من أخبار البحر المالح وأمواجه

المتلاطمة في الليل ، وعن المد والجزر فيه باطل لانه يخالف المعقول .

بهذا الميزان كنا ننقد الأخبار ، فهل يطلب الدكتور تجديد ذلك العهد والعودة الى هذه المقاييس .

وأتذكر أن بعض أصدقائنا قد احتفظ بهذه المقاييس الجميلة حتى تجاوز الأربعين فهو يقول عن الهاتف (التليفون) هو آلة سحرية ، لأنه يستحيل أن ينتقل الكلام من مكان الى مكان بواسطة سلك غير أجوف .

ولما أخبرناه عن المذياع ضحك من عقولنا كثيراً وقال هو أشد استحالة من الهاتف لانكم تقولون انه بغير سلك ، الهاتف والمذياع والحاكي ، وكل ما يشبه هذه الآلات سحر من عمل ساحر واحد ولكنكم لا تفقهون .

من المضحك جداً أن نحكم هذه المقاييس الناشئة من ضيق النظر وقلة الاحاطة من المضحك جداً أن نحكمها في أخبار الثقاة المأمونين ، أو العقائد التي يؤسسها البرهان واذن فلنستعرض النقود التي يوجهها الاستاذ الى فكرة المهدي ليتضح لنا مخالفة الفكرة للعقل .

أحاديث المهدي تخالف العقل فيلزم ردها لأن هذه الفكرة تبتني :

(١) على عصمة الإمام ؛ وأي امام معصوم .

وهذا نقد يوجهه الاستاذ الى القرآن الذي شرط العصمة في الإمام ، وشهد للأئمة من أهل البيت بالتطهير ، وأذهاب الرجس ، والى حديث الثقلين وأمثاله من صحيح السنة ، وقد أسلفنا الكلام على ذلك فلا نعيده .

(٢) يعيش مئات السنين .

وهذا نقد ثان يوجهه الدكتور الى القرآن أيضاً ، لأنه يخبر عما يخالف الطبيعة في عمر نوح النبي فيقول : **﴿ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾**(١) ، ولم يحدثنا عن عمره قبل أن يرسل نبياً ، وكم بلغ عمره بعد الطوفان الى حين وفاته .

ويخبرنا أيضاً عما يخالف المألوف في عمر ابليس ، لأنه ينبىء عن وجوده قبل خلق الانسان الأول ، ويقول عنه انه **﴿من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾**(٢) .

ويخبرنا بنظير ذلك عن المسيح أيضاً ، لانه يقول : **﴿وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾**(٣) .

لا بد أن يؤمن جميع أهل الكتاب بالمسيح قبل موته واذن فالمسيح لم يمت ولم يقتل والآية الاخرى : **﴿اني متوفيك ورافعك إليّ﴾**(٤) تجري على ضرب من المجاز والتشبيه .

وفي الأحاديث والتأريخ قصص نادرة للمعمرين ، والأستاذ قد قرأها مراراً لأنه من المؤرخين .

وقصة لقمان بن عاد الذي عاش عمر سبعة نسور معروفة عند المؤرخين ، وقول العرب : طال الأبد على لبد من الأمثال السائرة عندهم ، وكذلك قول النابغة :

أخنى عليها الذي أخنى على لبد

ولبد هو آخر النسور السبعة التي عاش عمرها لقمان هذا ، وفيه

---

(١) سورة العنكبوت آية ١٤ .

(٢) سورة الحجر الآيات ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) سورة النساء الآيات ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ٥٥ .

يقول الأعشى :

وأنت الذي ألهيت قيلاً بكأسه ... ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر
لنفسك اذ تختار سبعة أنسر ... إذا مضى نسر خلوت الى نسر
فعمر حتى خال ان نسوره ... خلود وهل تبقى النفوس على الدهر
وقال لأدناهنّ اذ حلّ ريشه ... هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

وفيه يقول لبيد :

ولقد جرى لبد فأدرك جريه ... ريب المنون وكان غير مثقل
لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضة ... ولقد يرى لقمان ان لا يأتلي

وناهيك بعمر سبعة نسور ، والنسر من أطول الحيوانات عمراً وأقلّ ما قاله المؤرخون عن لقمان هذا انه قد بلغ خمسمائة وستّين سنة وقيل أضعاف ذلك .

وقول المؤرخين عن قس بن ساعدة الأيادي انّه عاش سبعمائة سنة معروف وقيل أقل من ذلك .

والذين عاشوا بين الثلاثمائة والأربعمائة كثيرون في التاريخ . فمن هؤلاء الربيع بن ضبيع الفزاري الذي يقول :

أصبح منّي الشباب قد حسرا ... إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد ... أدرك عقلي ومولدي حجرا[1]

---

(١) يعني به حجراً الكندي أبا امرىء القيس ، أنظر كتاب بلوغ الارب ج ٣ ص ١٦٦ .

وهو الذي يقول لعبد الملك بن مروان في أيام خلافته عشت مائتي سنة في فترة عيسى (عليه السلام) ، وعشرين ومائة في الجاهلية ، وستّين في الاسلام وقصته معروفة .

ومنهم دويد بن زيد بن نهد الذي يقول :

ألقى عليّ الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يصلح ما أفسده اليوم غدا

وقد بلغ من العمر أربعمائة وستاً وخمسين سنة على ما يذكره المؤرّخون[1] .

ومنهم عبد المسيح بن بقيلة الغساني الذي يقول :

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني ولم أحفل بمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود

وقد عاش ثلاثمائة وخمسين عاماً[2] .

ومنهم أكثم بن صيفي بن رباح الأسدي أحد حكّام العرب المشهورين وقد عاش ثلاثمائة وثمانين سنة ، ومنهم الحارث بن مضاض الجرهمي الذي يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر
بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

---

(١) أنظر ص ١٧١ ج ١ من أمالي السيد المرتضى .
(٢) أنظر ص ١٨٨ من المصدر المتقدم .

وقد عاش أربعمائة سنة ، ومنهم عمرو بن جمعة الدوسي الذي يقول :

ثلاث مئين قد مررن كواملاً وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطياراً يقال له قع
أخبر أخبار القرون التي مضت ولا بد يوماً أن يطار بمصرعي

وقد بلغ ما يرجوه فقد مرّت عليه أربعمائة سنة على ما يقول بعض المؤرّخين ، ويقول بعضهم ان هذه الأبيات لعامر بن الظرب العدواني وقد بلغ الثلاثمائة .

ومنهم المستوغر عمر بن ربيعة بن كعب الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مئة أتت من بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الاّ كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا

وقد بلغ من العمر ثلاثمائة وعشرين عاماً وقيل أكثر من ذلك[1] .

وما أكثر المعمرين في التاريخ ، وقد قرأ الدكتور أخبارهم مراراً لأنه من المؤرخين والأحاديث عن عمر الدجال مثبتة في الصحاح من جوامع الحديث ، وقد روى مسلم بعض هذه الأحاديث في كتاب الفتن من صحيحه ، وأحاديث الخضر مشهورة بين المسلمين وان ظهر التشكيك فيها من الدكتور في ص ١١٢ من كتاب المهدي والمهدوية .

(١) ص ١٦٩ من نفس المصدر .

هذا حكم القرآن والتأريخ في نقض رأي الأستاذ الجليل ، أما العلم الحديث فقد أثبت امكان تعمير الانسان ألوفاً من السنين كما تعمر الأشجار ، وقد أجرى العلماء تجارب كثيرة لتحقيق هذه النتيجة ، وقد أثبتت التجارب صحتها ، فقد بقيت أجزاء الحيوان بعد أنفصالها حية نامية واستمرت على حياتها ونموها مدة طويلة من السنين ، لا تصل اليها بحسب العادة ، وكانوا يتعاهدون هذه الأجزاء بالأغذية المناسبة ، وأجريت نظائر هذه التجارب في أعضاء الانسان وقلبه ، وكليتيه ، فكانت حية نامية ما دام الغذاء موفوراً لها .

وفي مجلة المقتطف كلمة مفصلة عن هذه التجارب ، وهذه النتيجة يجدها القارىء في العدد الثالث من سنتها التاسعة والخمسين .

وبعد هذا فهل الدكتور الجليل لا يزال مصراً على أن طول العمر شيء يخالف العقل وهل تصدق معي أن الدكتور في رأيه هذا يحيلنا الى مقاييس الأطفال ، وان بلغ ما بلغ من العلم ، ورحم الله ذلك الصديق القديم .

يقول الأستاذ :

(٣) وأصبح لا يجوز على العقول إمام مختف .

وهذا نوع جديد من النقد ، يؤسسه الأستاذ على رأي جديد في الإمامة ، يضيف الى شرائط الإمامة شرطاً جديداً لم يقل به أحد من المسلمين ، ويفرض هذا الشرط فرضاً على جميع العقول ، ثم يؤسس نقده على هذا الرأي المفروض .

يشترط الدكتور في الإمام أن يكون ظاهراً غير مستور ويرى أن هذا

الحكم يجب أن يكون اجماعياً تخضع له جميع العقول لأن الذي يفرضه هو الدكتور أحمد أمين ، ولذلك كان الاختفاء من الامام مخلا بامامته ، وأصبح لا يجوز على العقول إمام مختف ، وما أجدرنا بالسكوت عن أمثال هذه الأقيسة لو لم يكن الكاتب هو الدكتور أحمد أمين ، والدكتور من الأدباء النابهين الذين يحسب النشء لآرائهم ألف حساب والذين يستقون من علمه في العراق وفي الأقطار العربية والمسلمة أضعاف تلاميذه في مصر ومن لهؤلاء القرآء المتفاوتين في المدارك أن يعلموا ان الأستاذ يتجنى على الشيعة في هذا النقد ويجني على العقول بهذا الفرض والأستاذ نفسه يعترف بانه ليس من المعصومين ، يحاول الدكتور أن يجعل شرائط الإمامة أعظم من شرائط النبوة فهل سمعت باعجب من هذا وقد قلت أن الأستاذ يفقد معنويته إذا حاول أن يكون من الناقدين فكيف إذا حاول أن يكون مبتكراً وناقداً في وقت واحد .

الامامة نيابة عامة عن النبوة فلا يعقل أن تكون شرائطها أعظم من شرائط النبوة ، ولم يذهب الى هذا أحد من المسلمين ، والشيعة الذين يقولون ان الإمامة منصب إلهي لا يشترطون في الامام أكثر مما يشترطون في النبي والأستاذ يعلم ذلك جيداً لأنه مؤرخ كبير ، والمذاهب والآراء تشكل جزءً مهماً من أجزاء التأريخ .

وبعد فلماذا لا يجوز للإمام أن يختفي إذا قضت المصلحة له بالاختفاء كما جاز للأنبياء أن تحتجب إذا أوجبت المصلحة عليهم الاحتجاب .

وقد حدثنا القرآن عن غيبة موسى عن قومه أربعين ليلة ، واحتجاب يونس مدة اختلف فيها المفسرون ، وقرأنا في سيرة النبي اختفائه في الغار

ثلاثة أيـام ، وقبله في الشعب ثلاث سنين ، وحدثنـا التاريـخ عن الأنبياء السـابقين بـأمثال ذلـك ، وقـد يفـرق الأستـاذ في الغيبـة بـين طـول المـدة وقصـرها ، وهـذه التفرقـة لا ينبغي أن يفكر بهـا الأستـاذ إذا كـان السبب للغيبة هو اقتضـاء المصلحة ، والمصلحـة التي تكون سببـاً للاحتجـاب مدة قصيرة قد تكون سبباً للاحتجاب مدة طويلة ، وقـد سمعنا حـديث القرآن عن غيبة المسيح ، وغيبة المسيح هذه تزيد على غيبة المهدي بتسعة قرون .

ولمـاذا لا يجوز لـلامـام أن يحتجب إذا ألجـأتـه الأمـة الى الاحتجـاب بنفسه ، كما الجأت آبائه الى الاحتجاب بمذهبهم .

لمـاذا لا يجوز لـه أن يحتجب إذا رأى الظالمـين تفتش عنـه البيـوت ، وتتطلب له الغوائل .

لماذا لا يجوز له أن يحتجب حقناً لدمه أن يطل ، وحفظاً لـدعوتـه أن تستأصل .

وأي عقل يحرم عليه الفرار من ظلم الظالمين وجور الجائرين .

ولأي سبب معقول يحرم عليه تأجيل دعوته الى غد إذا استحال عليه أن يبلغها اليوم

العقـول تحرم عـلى المظلوم أن يقـدم نفسـه لقمـة سـائغـة لاعـدائـه يستبيحون دمه ويستحلون حرمته .

والعقـول تحتم على صـاحب المبدأ أن ينتـظر الفرصـة المنـاسبـة لنشر مبدئه وبث دعوته ، بهذا تحكم العقول أيها الأستاذ ، وعلى هذا تتفق .

وكلنـا نعلم مـا لقي أهـل البيت من الجـور والتشـريـد ، ومـا لقي أتبـاعهم من القتل والتعـذيب ، ألا يكـون هـذا مسـوغـاً لبقيـة العتـرة أن

يحتجب حقناً لدمه في الحاضر ؛ وتمهيداً لدعوته في المستقبل ، على أن كل نهضة يجب أن يتقدمها تجمع ، وكل ثورة يجب أن يسبقها سكون ، وقد علمنا ان الأسد يتحفز ثم يثب ، وان البركان يتجمع ثم يثور ، هذه سنة الطبيعة ، وهذه سنة العقول أيضاً ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وكلما ازدادت الحركة أهمية ، وكلما كبرت النهضة شأناً ، وجب أن يكون التريث قبلها أكثر ، وان يكون التجمع لها أشد ، فكيف اذا كان الناهض يريد أن يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت جوراً ، وهل يمكن أن تملأ الأرض عدلاً إذا لم تكن نفوس البشر عامة مستعدة لقبول هذا العدل وهل يمكن هذا إلا بعد رقي البشر في معارفهم وعلومهم، وهذا يحتاج الى مضي أزمان، لا بد للناهض أن ينتظر الوقت المناسب لنهضته، ولا بد للدكتور أن يصدق بهذه الفكرة، لاني أعلم أنه من المتفائلين للعالم بالصلاح وهل يحيل على العالم أن يصل الى الذروة في العدل الخلقي كما وصل الى الذروة في العلم المادي .

انا اعيذ الدكتور من هذه النظرة لانها نظرة المتشائمين .

(٤) يخرج في زمان قد حدد .

ولست اظلم الدكتور اذا قلت : انه في نقده هذا لم يكن من المنصفين . لأن الشيعة لا تحدد زماناً لخروج امامها الثاني عشر ، وهي تكذب قول من يدعي التحديد لذلك الزمان ، ولا تعتني باليازرجات وحساب الجمل وأمثالها ؛ وكتبهم شاهدة على ما أقول .

ومن المضحك جداً ما نقله الاستاذ عن ابن خلدون : ان بعض الناس ـ وهذا البعض من الشيعة بالطبع ـ كانوا يحسبون خروج الامام بحساب الجمل ، فيحددون زمان خروجه ، فاذا جاء هذا الوقت ولم يخرج ادعوا ان هذا التاريخ تأريخ ولادته لا تاريخ خروجه .

فهل يسمح لي الدكتور ان اقول له : ان نقل هذه الحكايات من قلة التثبت ، وإلا فاي فرد من افراد الشيعة يشك في ولادة المهدي ليصح منه هذا القول ، واذن فهذا القول من التهم التي يلصقها بالشيعة ، ولست اريد ان اتعقب كل كلمة من هذا القبيل فان للهزل كتباً اخرى ، ولا حصآء الكذب اناساً آخرين .

(٥) وهو في استتاره يحرك اتباعه ليزيلوا المظالم

وهذا النقد أيضاً يجب ان نضعه في القائمة السابقة التي افتريت على الشيعة ، وبعد فهل صدقت معي ان الشيعة مظلومون حتى في نواحي التأريخ ؛ لا تقول الشيعة ان الامام يحرك اتباعه ليزيلوا المظالم ، وهو يمدهم من وراء الغيب ، ولو صح هذا لم يجرأ الدكتور ان يلصق بهم امثال هذه التهم ، ولكن الشيعة تقول وتبرهن على ما تقول انه سيخرج عند أول فرصة ممكنة للخروج فيزيل المظالم ؛ ويقيم العدل ، ويطبق الشريعة بالمعنى الصحيح من التطبيق .

والدكتور يفترض عالماً غير عالمنا المحسوس ، وناساً غير ناسنا الموجودين فيقول : انما الطريق الطبيعي هو ظهور مصلح اجتماعي يشعر الناس بالالم من الظلم ، والطموح الى العدل ، فيضطهد ويعذب ، ولا يزال اتباعه يكثرون ، وكلما عذب أمام الناس ازدادت دعوته قبولاً حتى يقوى فيزيل المظلمة أو المظالم التي دعا الى إزالتها ؛ ويحل الصالح محل الفاسد .

ولكن الاستاذ فانه ان الأقوياء قد تستعمل مع المصلح طريقاً اقصر من التعذيب فهل في استطاعة الدكتور ان يضمن للمصلح حياته من الاقوياء حتى يكثر اتباعه وينتشرون ويملأ الارض قسطاً وعدلاً .

لست اظن ان الدكتور يجرأ على هذا الضمان .

هذه هي النقود التي يوجهها الى فكرة المهدي . أما بقية الاشياء التي يعلقها على هذه الفكرة فلا اتعرض لها بشيء لاني لا أود أن احط من قيمة استاذ كبير .

المهدوية في التاريخ

أراني أمام حقيقة لاذعة ، يسوقني اليها البحث في هذا الموضوع ، وأراني مضطراً الى الجهر بها وان أساءت الدكتور حفظه الله ، وأساءت كثيراً من أصدقائه المخلصين وفي مقدمتهم صديقه الجديد محمد أمين زين الدين .

لست أكشف مستوراً ولكني أكره أن أحرر كل شيء ، ولكن ما الحيلة إذا ألجأني الأستاذ أن أقول ، وماذا أصنع إذا اضطرني الحق أن أجهر ، وهل بامكاني أن أغضب الحق لأرضي أحمد أمين أو محمد أمين ، أو أسكت عن الحق فأكون شيطاناً أخرس كما يقول الحديث ، وكما يقول العقل ايضاً .

ليس بامكاني ذلك ولا بامكان كل كاتب يتحرى الحقائق وإذن فلأقل ما شاء لي الحق أن أقول ، وليغضب من يغضب ، وليرض من يرضى .

علم كل باحث في الملل والنحل ان الشيعة تشتمل على فرق متكثرة تتباين في العقيدة وتختلف في المذاهب والآراء وان اجتمعت على تقديم علي

على غيره من الخلفاء ، وأضاف المفترون اليها فرقاً خيالية موهومة لم يعرف لها الواقع اسماً ولم يعين لها الزمان مسمى ، ولكن كتب الملل والنحل تذكر هذه الفرق ، وتدوّن لها آراء ومعتقدات ، وتعين لها زعماء ومؤسسين ، ولد بعضهم الخيال ولم يلده التاريخ ، وسواء أصح هذا أم لم يصح ؛ فقد أصبحت الشيعة عند هؤلاء فرقاً كثيرة العددوالأقوال وعلم كل باحث في المذاهب هذه الكثرة في فرق الشيعة ، وهذا التباين بين معتقداتها ، ولكن سعادة الدكتور يأبى له تتبعه إلا أن يجمع الشيعة على صعيد واحد ويخاطبهم بلسان واحد ، فكل عقيدة ثبتت لبعضهم فقد ثبتت للجميع وكل عمل يصدره بعضهم فقد أصدره الجميع ، وكل تصرف وقع من بعضهم فقد وقع من الجميع ، ولذلك فالشيعة عنده متناقضون في عقائدهم وأعمالهم ، والشيعة مؤاخذون عنده بما ترتكبه أية فرقة من فرقهم ، وان خرجت هذه الفرقة من خبر كان ودخلت في خبر ليس كما يقولون .

وإلا فأي شخص من المتعلمين يجهل ان الكيسانية غير الزيدية ، وإن الاسماعيليين غير البابيين ، وان جميع هذه الطوائف غير الإمامية الاثني عشرية .

وأي شخص من المتعلمين يجهل ان هذه الفرق تتباين في عقائدها ، وتختلف في مسالكها ، وان كل واحدة من هذه الفرق تتميز بعقيدة لا يصح لنا أن ننسبها الى فرقة أخرى ، أي شخص يجهل ذلك .

وهل يصح لعاقل أن يقول : ان بعض المصريين يرتكب القبائح فيجب أن يكون جميع المصريين أو جميع العرب والمسلمين يرتكبون تلك الآثام ، أو يقول : ان بعض الغربيين يجهلون القراءة والكتابة فلا بد أن يكون جميع الغربيين أميين لايقرأون ولا يكتبون .

لا أعتقد ان الدكتور يقول بهذا مطلقاً ، وإن كان يقول به حين ما يكتب على الشيعة وعن أئمة الشيعة .

من الحرج على مؤلف كبير يكتب لملايين من البشر ان يعمل لنتائجه أقيسة هي أحط من أقيسة الأطفال ، ثم يقدمها للناس على أنها حقائق علمية .

أئمة أهل البيت يرتكبون الإثم في الخلفاء ، لأن الإسماعيليين يرتكبون الإثم علانية ، والامام لا يمكن أن يكون معصوماً ، لأن الفاطميين كانوا ظلمة مستهترين .

وفكرة المهدي باطلة ، لأن من نجح من دعاة المهدوية لم يحقق عدلاً ولم يرفع ظلماً ؛ والشيعة يعتقدون بالحلول ، لأن البابية والحلاج يعتقدون ذلك .

وهم يقولون برجعة الإئمة بطريق التناسخ لأن الشلمغاني يقول بذلك ، ويقولون إن المهدي في جبل رضوي عنده عينان نضاختان فيهما عسل وماء لأن الكيسانيين يقولون بهذا ، ونظمها كثير عزة في شعره .

فهل يريد القارىء مني أن أنقل له كتاب المهدي والمهدوية كله شاهداً على هذه الدعوى .

من الحرج على مؤلف كبير أن يعمل هذه الأقيسة ليلقي نتائجها دروساً على مئات من المثقفين الجامعيين ، ثم يحررها كتباً لملايين من القراء ، على أنها حقائق علمية من الحرج عليه أن يكتب مثل هذا ثم يعتذر بقلة المصادر وكيف يسوغ لباحث أن يلج موضوعاً خطراً مع قلة إحاطة وعدم تتبع ، والخيال والتاريخ لا ينفعان الكاتب في جميع الأشيآء .

يذكر الأستاذ لفكرة المهدي تأريخاً مشوهاً في الاسلام ويقـول إن هذا التـاريخ دليـل على بـطلان الفكرة ؛ ولـو أردنا أن نجمـع تاريـخ النبـوات الكاذبة ، والأرباب المزيفة ، لوجدنا تأريخاً عجيباً هو أشـد تشويهـاً من هذا التأريخ الذي وضعه الأستاذ لفكرة المهدي ، فهل يصـح لأحد أن يستـدل على كذب النبـوات كلها ، وإنكـار الاله الحق بهـذا التأريـخ المشوه الـذي وضعناه للكاذبـين ، لا أعتقد أن الـدكتور يصحـح ذلك الـدليل وإن كـان يقول بصحته حين ما يكتب عن فكرة المهدي .

وبعد فان الدكتور ينظر الى المسلمين عامة نظرة سوداء فيهـا كثير من الاحتقار وكثير من الإزدراء ، لأن الشيعة في رأيه جمعية سرية ترتب أمـورها بدقة وتسيرها باتقان ، وقد تمكنت بفضل هذه الدقـة أن تدس في أحـاديث المسلمين ما تشآء ، وان تلون تأريخ المسلمين كيف تـريد ، وأن تـدخل في العلوم والفنـون ما تختـار ، ورؤساء المسلمـين وقيـاداتهم في غفلة عن هـذا التصرف الذريع ، فأحاديث المسلمين وتأريخهم وتفسيرهم وعلومهم ألعوبة بأيدي هذه الفئة الـدساسـة ، ولعل أيـدي هؤلاء امتدت الى أشيـاء أخرى يحذر الأستاذ من الجهر بها .

والأدب . . . والأدب . ، كيف لونه الشيعة القرمطيون بـطابع الـدم والثـورة والحيـرة والاضـطراب ، ولا تعجب من هـذه النسبـة فهي عبـارة واحـدة عنـد الأستـاذ لأنـه يقـول عن المتنبي أنـه تعلم في بعض مكـاتب الشيعـة ، ومن هؤلاء الشيعة كـانت القـرامـطة ، ولـذلـك فـالمتنبي شيعي قرمطي ، وكل شيعي قرمطي ، كما ان كل شيعي إسماعيـلي ، وكل أديب بـاك أو متحير فهـو شيعي قرمـطي وان كـان في تسنن جـريـر ، وفي نصب مروان بن أبي حفصة ؛ وكل شعر دمـوي فشاعـره شيعي قرمـطي وان كان

من الجاهليين أو من المخضرمين .

أنا لا أنكر ما للأدب الشيعي من الروعة ، وما فيه من الجمال ، لأن هذه الظاهرة في الأدب الشيعي واضحة يجدها كل قارىء يتذوق الأدب .

أدب الشيعة صدىً لعواطف ملتهبة ، أخمد الزمان لهبها أن يظهر ، وأطلق الأدب دخانها أن يثور ، ففاح كما يفوح الند حين يحترق ، وماء الورد حين يتصاعد ، وفي الأدب الشيعي رقة الدمع ، ورهبة الدم ، والحزن للقلوب والكئيبة كالنار حين تنفي خبث الحديد ، وتنقي الذهب الإبريز ويستطيع الأديب الشيعي أن يبكي في ثورته ، وأن يثور في بكائه ، وأن يسيطر على الموقف في كلتا الحالتين ، لأنه يلقي من شظايا فؤاده .

لم تستطع الشيعة أن تعمل ، ولكنها استطاعت أن تقول ، والكبت حين يشتد يتصل بأعماق النفس ليمزج العقيدة بالعاطفة ، ثم يتصعد مع الزفرات أدباً يلهب ويلتهب ويبكي ويستبكي ، وفي أنة الحزين معان لا تستطيع أن تعبر عنها أنة المعافى ، وإن تشابهتا في التوقيع .

هذا ما يجعل أدب الشيعة في القمة من أدب المسلمين ، وفي الذروة من أدب العروبة ، وهذا بعض ما استفادته الشيعة من يوم الحسين ، وأيام العترة في التأريخ ، وأيامهم في التأريخ دموع ودمآء .

والشيعة حين تكبر يوم الحسين فانها تريد أن تعترف بالفضل لهذا المنقذ ، لأنه استطاع أن يمزج العقيدة الإسلامية بلحومها ودمائها ، وأن تؤدي للرسول الأعظم أجر الرسالة بالولاء الصحيح ، والولاء الصحيح مشاركة في الأحزان والأفراح ، وإذا لم يستطع التأريخ أن يحفظ للعترة يوم

فرح فقد حفظ لها أيام أحزان[1] .

أنا أعترف للأدب الشيعي بجميع ذلك ، ولكني أنكر أن يكون كل أديب باك شيعياً ، وكل شاعر ثائر قرمطياً ، لأن أكثر الشعر بكاء ، وأكثر الشعراء ثائرون ، وهل بامكان الأديب أن لا يبكي وان لا يثور ، وهو يصور الحياة ، وأكثر ما في الحياة آلام .

---

(١) رعى الله إخواننا من المسلمين ، وتجاوز عنهم فيما يصنعون انهم يأخذون على المحزون أن لا يئن ، ويحكمون على المصدور أن لا يتنزفر ، يؤاخذون الشيعة حين تبكي لآلامها ، وحين تحزن لأوليائها ، ويقولون : إن مواساة النبي في أحزانه بدعة ، وإن التوجع لآلام أهل البيت ضلال .

عذرتكم أيها الاخوان ، فان للحب مجالي يجهلها غير العاشقين الشيعة متيمون بنبيهم ، متيمون بأئمتهم ، ويرون في هذا الحب أشد أنواع الإتباع .

ينشأ الطفل الاثنا عشري ، وعقيدة التوحيد والرسالة ملؤ ادراكه ومداركه ، وملؤ سمعه وقلبه ، واسم الحسين مع هذه العقيدة في سمو معناها وسمو أهدافها ، يمدها من مصرعه بالدم فيحيل العقيدة عاطفة ، وتمد هي مصرعة بالعظمة فينعكس عليه جلالها ، وترتسم عليه أضواؤها .

لست أريد أن أرثي الحسين ، ولكني أريد أن أصور عقيدة الشيعة في الحسين وفي الأئمة من آله ، تقول الشيعة : ان النبي بكى في يوم حمزة ، وقال : ولكن حمزة لا بواكي عليه ، وبكى في يوم جعفر وزيد بن حارثة ، وبكى لأحياء آخرين ، والحسين أقرب هؤلاء الى قلبه وأشدهم صلة بروحه ، وتروي الشيعة عن ائمتها أحاديث في فضل البكاء عليه .

وبعد فلماذا يعد الحزن لأهل البيت بدعة ، بعد أن كان محل خلاف بين المسلمين ، وبعد أن أدى اجتهاد علماء الشيعة الى جوازه ورجحانه .

لم يستطع الناقدون أن يقولوا : حب أهل البيت بدعة ، فقالوا : البكاء لمصابهم بدعة ، ولم يظهروا : ان يوم الحسين عيد للأمة ، ولكنهم جعلوا عيد الهجرة في شهر محرم . =

ولست أعتقد أن الدكتور لم يثر ولم يبك في يوم من الأيام ، وإذن فالدكتور أحمد أمين شيعي قرمطي لانه بكى وثار في أدبه ، ولعله أبكى واستثار .

ويعجبني كثيراً هذا التحقيق التأريخي لنقل كلمة المهدي الذي يذكره الدكتور ص ١٠ « وان المختار ابن ابي عبيد الثقفي نقل كلمة المهدي الى معنى آخر لزمها الى اليوم ، وهو ان المهدي لم يمت ، وإنما هو وأصحابه

= نغمات قديمة وقعها ابن كثير في تاريخه وتبعه آخرون .
ومن أحدث هذه النغمات ما رأيته في مجلة لواء الاسلام في عدد المحرم من سنة ١٣٧١ .

تقول المجلة عن حديث التوسعة على العيال في يوم عاشوراء هو من الأحاديث المكذوبة ، لأن راوية من أهل الكوفة وأهل الكوفة طائفتان : رافضة يظهرون موالاة أهل البيت ، وهم في الباطل إما ملاحدة زنادقة ؛ وإما جهال وأصحاب هوى ، وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه ، ولما قتل الحسين بن علي يوم عاشوراء صارت طائفة الروافض تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة ، ولما رأت طائفة النواصب ذلك قابلت الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب ، فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور والتوسعة .

أرأيت كيف يعدون الحزن لأهل البيت من الكذب ومن العمل الفاسد ، أرأيتهم كيف يحكمون على الشيعة بالإلحاد والزندقة وهل تعلم دليلهم على هذا الحكم .
دليلهم عليه ان الشيعة تحب أهل البيت وإلا فأي دليل يقوم على ان من يظهر الولاء لأهل البيت فهو ملحد في الباطن أو مبتدع ، وأي تأريخ يقول : ان النبي هاجر في شهر المحرم .
لم يهاجر النبي في شهر المخرم ، ولكن الحسين قتل في هذا الشهر ، ولم يبتدع الشيعة شيئاً ، ولكنهم يحبون أهل البيت .

يقيمون في جبل رضوي وهو في الحجاز على سبع مراحل من المدينـة ، وانه وأصحابه أحياء يرزقون » .

تأمل بربك تأمل ، هل تصح هذه العبارة من المختار إلا حين يعتقـد الناس الآخرون أن إمامه قد مات ، والمؤرخون مجمعون على ان المختار قتل في السنة السابعة والستين للهجرة وان محمداً ابن الحنفية مات بعده بخمس سنين على أقل التقادير[1] .

وهذا الجدول التأريخي الطويـل الذي حشـد فيه الـدكتور كثيـراً من وقائع الدهر ، وجعله فهرساً لنتائج فكرة المهدي أو لـلأحداث المتصلة بهـا كما يقول ، كأن الدكتور قد لاحظ فيه أن كل حركة قام بها شيعي أو كانت ضـد حركـة شيعية ، وكـل ثورة قـام دعاتهـا باسم العـدل ، فجميع هـذه الحركات والثـورات من الأحداث المتصلة بفكـرة المهدي وإلا فـأي علاقـة لخلافة عـلي ، ومقتل الحسـين ، وثورة المختـار وبعض ثورات العلويـين ، وسيف الـدولة الحمـداني ، و . و . و . أي عـلاقـة لهـذه الأشيـاء بفكـرة المهـدي ، لو لم تكن هـذه الحركـات شيعيـة ، أو لم يكن تـأسيسهـا بـاسم العدل ، ورفع الظلم ؛ ولهذا كان الواجب أن يضيف الى هذه القائمـة كل ثورة نهض زعماؤها باسم العـدل ، وإن لم تكن في الشرق أو لم تكن عنـد المسلمين .

لا يشـك أحدٌ أن مصـدر ابتـلاء الشيعـة بهـذه التهم هـو اختفاؤهـا بعقائدها أيام التقية والخوف .

ومـاذا يصنـع الشيعـة إذا ألجـأهم البـرهـان العلمي الى الإعتقـاد ، واضطرتهم الحكومات القائمة الى الإستتار ، وماذا يصنع الدكتور نفسـه اذا ابتلى بمثل ذلك ، فهل يترك عقيدته التي حتمها عليـه البرهـان ، أو يخاطـر

---

(١) أنظر تاريخ الطبـري في حوادث سنـة ٦٧ ، ووفيات الأعيـان في ترجمـة محمد ابن الحنفية .

بدمه الذي عصمه القرآن على غير جدوى في هذه المخاطرة .

لست أشـك في أن الدكتـور يختار مـا اختارتـه الشيعة اذا ابتـلى بمثل بلائها ، يسر العقيدة ويساير الجمهور ، وهذه نتيجة لا بـد منها إذا فـرضها الزمن .

كان من المحتم على الشيعـة أن يختفوا ؛ وكـان هذا الاختفـاء مصدر ابتلائهم بهذه التهم الكاذبة التي لا تتصل بهم ولا تشبه قواعد مذهبهم .

من الضروري لكل شخص يقوم بحركة انقلابية ضد حكومة رسمية قائمة أن تكون دعوته سرية في بدايتها وان يستخدم بعض الفكر الصحيحة لتحقيق غـايته ، كفكـرة المهدي ومـا يشبهها ، وأن يمـوه عـلى المغفلين ممن اعتنق هذه الفكرة ليساعدوه على ما يريد ، لا بد له من ذلك ، وفي هذا ما يوهم المؤرخين والحكومات القائمة أن الحركة شيعية ، وفي الحق أن الشيعة منهـا بـراء ، والـدليـل عـلى ذلـك تبـرء الشيعـة وأئمـة الشيعـة من هــذه الحـركات ، ومن زعمـائها ، وأخبـار الأئمة في التنـديد بهؤلاء الثـائـرين ؛ محفـوظة في كتب الشيعـة المعتمـدة ولكن المؤرخـين مصـرون عـلى أن هـذه الحركات شيعية وان زعماءها شيعيون .

تتبرأ الشيعة وائمـة الشيعة من الحلول والتجسيم ؛ وتكفـر من يقول بهما ، ويأبى المؤرخون إلا أن يكون الحلاج والشلمغاني شيعيين ، وأن تكون ثورة القرامطة ثورة شيعية ، وارتكاباتهم أعمالاً شيعية مهدوية .

وتحكم الشيعـة وأئمة الشيعـة بنجـاسـة من يـدعي النبـوة بعـد نبي الإسلام وتبطل كل دين يظهر بعد دين الاسـلام ، ويقول المؤرخـون ومنهم الدكتور أحمد أمين ان نهضة البابية والقاديانية نهضتان شيعيتان مهدويتان .

وتحكم الشيعة بكفر القائلين بوحدة الوجود ، وتنزه الله عن عوارض المكـان والإمكان ؛ وتقـول ان شريعـة الإسـلام كـافيـة لتهـذيب الـظاهـر

والبـاطن ، ويقول العـلامة ابن خلدون والـدكتور أحمـد أمين إن المتصـرِّفة أخذت مذاهبها من عقائد الشيعة ، أرأيت أعجب من هذا .

نظير ما ينقلون في نوادر الأذكياء : ان رجلاً بلغه موت أحد أصدقائه في السفر فحزن عليه حزناً شديداً وجزع لفقده ، واتفق ان صديقه عاد من سفره سالمـاً ، فلقيه يـوماً في الـطريق ، فسلم عليه وهـو يبكي ، ويقول : عظم الله أجورنا فيك أيها الأخ العزيز فلقد شق علينا موتك ، فانـا لله وإنا إليه راجعون .

فضحك صديقه وقال : وها أنا بحمـد الله رجعت سالمـا فقال : إن الذي أخبرني بموتك أصدق منك أيها الأخ .

تبـرأ الشيعة من هـذه الآراء ومن معتقديهـا ، ويقول المؤرخـون انها آراء شيعيـة وإن المعتقدين بهـا شيعيـون ، لأن الـذي يخبـرنـا بـذلـك هـو التأريخ ، وكتب الملل والنحل وهما شاهدان عادلان .

أنظروا كتب الشيعة مشحونة بالرد على هذه الأهواء لعلكم تصدقون ان هذه الأهواء غير شيعية وانها تباين قواعد المذهب الجعفـري ، ولعل من كتب في رد هذه الأهواء من الشيعة أكثر من غيرهم ، أنظروا كتب الشيعـة لعلكم تصـدقون معي ان التـأريخ لم يكتب للتـاريخ وإنمـا كتب للعقيدة ، وإذا قلت المصادر عن المذهب الاسماعيلي فـان مصادر الاثني عشـرية غـير قليلة ، إقـرأوا كتب الشيعة ثم انقـدوا إن كنتم ناقـدين ، وستعلمـون من دون ريب أن السيعة لا تناصر فلسفة ولا تصوفاً وانما تنـاصر الحق وتسانـد الدليل.

ستعلمـون ان الشيعـة لا تقــول ان في القـرآن أدبـاً رمـزيـاً يؤول بمشتهيات النفوس ولكنها تقول كما يقول القـرآن : منه آيـات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشـابهات ، وتقـول إن المتشابهـات يجب ردها الى السنـة النبـويـة الصحيحـة ، والى مـا يقـول العتـرة الـذين جعلهم النبي قـرنـاء الكتاب .

خاتمة المطاف

العدل الخلقي والإجتماعي نتيجة طبيعية للدين الإسلامي الحنيف اذا عمل المسلمون بقواعد هذا الدين ، وطبقوا تعاليمه على ما يعملون وما يعتقدون ، وكان من المحتم أن يصل المسلمون الى هذه الغاية منذ يومهم الأول لو أحسنوا الإتباع واجتهدوا في التطبيق ، ولكن تزاحم الغايات يبعد عن المراد .

لم يصل المسلمون الى الغاية التي نهج اليها الدين حين تركوا اللباب من هذه التعاليم واكتفوا بالظواهر ، ونظرة الدين الى الباطن سابقة على نظرته الى الظاهر ، ولذلك فهو يبدأ بالعقيدة قبل العمل .

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِى ذي القربى﴾[1] و**﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**[2] **﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾**[3] وما أكثر الآيات الدالة على أن غاية الدين الأولى هي تحقيق العدل بجميع معانيه .

وإذا كان الإسلام هو الدين الذي شرعه الله ليكون دين البشر العام ، فان غايته لا بد أن تكون هي تحقيق العدل العام الذي يملأ الأرض .

هذا ما أراد الله للبشر حين شرع لهم الدين ؛ وهذا ما تفاءلت به الأديان حين أخبرت بالعدل المنتظر .

---

(١) سورة النحل آية ٩٠.

(٢) النساء آية ٥٨ .

(٣) سورة الشورى آية ١٥ .

والبشر الذي يسير الى الكمال في العلم المادي بسرعة البرق ، وبقوة الذرة لا يمتنع عليه أن يسير الى الكمال في العدل الخلقي بسرعة القدم .

سيصل البشر الى هذه الغاية من دون ريب حين يدركون سمو العدل ، وحين يفهمهم المصلح ان هذا العدل لا يتحقق إلا بدين الإسلام .

هذه الفكرة هي التي تقول بها الشيعة في المهدي ، وتقول : ان المهدي الذي يفهم الناس بهذه الضرورة هو آخر رجال العترة الذين خلفهم النبي في الأمة ، وبقية ذوي القربى الذين أوجب الله مودتهم في الكتاب ، وهذه خلاصة رأي الشيعة في المهدي .

والشيعة ترحب بكل نقد نزيه يتعلق بمذهبها ، على أن يكون التفاهم للحق وحده ، وإذا كان المقصد هو الحق صغرت الوسيلة لعظم الغاية .

وعلى الناقد أن يتأكد من الرأي قبل أن يتسرع في النقد فيدل من نفسه على ما لا يحمد ؛ فان في السكوت سعة إذا لم تتضح للناطق مواضع النطق ، ورحم الله مؤيد الدين الطغرائي الذي يقول :

غالى بنفسي عرفاني بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

وأنا حين أودع سعادة الدكتور أحمد أمين ، فاني أكبر منه جهاده المتواصل وتآليفه التي خدم بها الأدب ، وأرجو أن تكون صلتنا للحق وحده ، كما يريد هو وكما أريد أنا ، وله خالص التحيات من صديقه الجديد

محمد أمين زين الدين

واكمالاً للفائدة ـ نورد لعزيزنا القارىء بعض المعلومات القيمة الهامة التي تهم الباحثين الاسلاميين ـ الناشر

الامام المهدي عليه السلام

في سطور

* اسمه: محمد .

* ابوه: الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

* جده: الإمام علي الهادي عليه السلام .

* امه: نرجس أو مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ، وهي من ولد الحواريين تنسب الى وصي المسيح شمعون[1] .

* كنيته : ابو القاسم (كنية رسول الله صلى الله عليه وآله) .

* القابه : المهدي ، القائم ، المنتظر ، صاحب الزمان ، الحجة، الخاتم ، صاحب الدار .

* ولادته : ولد عليه السلام في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ في سر من رأى (سامراء) .

* صفته : ناصح اللون ، واضح الجبين ، ابلج الحاجب [2] مسنون الخد[3] اقنى الانف[4] اشم اروع[5] كأنه غصن بان ، وكأن صفحة غرته كوكب

---

١ ـ روضة الواعظين ١ / ٢٥٣ .

٢ ـ ابلج الحاجب : مفترق الحاجب .

٣ ـ مسنون الخد : طويل الخد .

٤ ـ اقنى الانف : مستوي الانف .

٥ ـ الاشم : مرفوع الراس ، والاروع: من يعجبك بحسنه .

دري ، بخده الأيمن خال كأنه فاتة مسك على بياض الفضة ، برأسه وفرة [٦] سمحاء سبطة تطالع شحمة اذنه ، له سمت ، ما رأت العيون أقصد منه ، ولا اعرف حسنا وحياءا[٧] .

* غيبته الاولى : وتسمى الصغرى مدتها تسع وستون سنة ، نصب فيها سفراء بينه وبين شيعته ، فكان عليه السلام يتصل بهم ، وتخرج توقيعاته اليهم ، وهم :

الاول : ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الاسدي (وكيل الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام) .

الثاني : ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٣٠٤ هـ .

الثالث : ابو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي المتوفى سنة ٣٢٦ هـ .

الرابع : ابو الحسن علي بن محمد السمري المتوفى سنة ٣٢٩ هـ [٨] .

* غيبته الثانية : وتسمى الكبرى . بدأت بعد موت علي بن محمد السمري سنة ٣٢٩ هـ وحتى يأذن الله له بالخروج .

* نقش خاتمه : أنا حجته وخاصته .

* رايته : مكتوب عليها (البيعة لله) .

* انصاره : ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا - عدد أهل بدر - وهم خواص اصحابه، واصحاب الالوية، وعماله فيما بعد على الامصار .

* محل ظهوره : مكة المكرمة .

* محل بيعته : بين الركن والمقام .

---

٦ - الوفرة : ما سال من الشعر على الاذن .

٧ - انظر بحار الانوار ١٣ / ١١٥ .

٨ - كانت اقامتهم رحمهم الله في بغداد ، وقبورهم في اماكن متفرقة منها ، عليها اضرحة مشيدة ، ومساجد عامرة .

* جيشه : عشرة آلاف .

* دولته : تشمل العالم باسره ، وقد تواتر الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله بانه علي السلام يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

* مدة ملكه : أكثر الروايات تصرح أن مدة ملكه عليه السلام أقل من عشر سنين .

الصحابة الذين رووا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام

بين يديك الآن ثبت باسماء خمسين صحابيا من رواة حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام .

اسماء الصحابة	اسماء الكتب
١ ـ ابو امامة الباهلي	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٥
٢ ـ ابو ايوب الانصاري	ينابيع المودة ٥٢١ ط النجف
٣ ـ ابو الجحاف	الغيبة للشيخ الطوسي ١١١ ط النجف
٤ ـ ابو ذر الغفاري	كفاية الاثر
٥ ـ ابو سعيد الخدري	(١)
٦ ـ ابو سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وآله	الغيبة للشيخ الطوسي ٩٦
٧ ـ ابو ليلى	ينابيع المودة ٥٢٨
٨ ـ ابو هريرة	صحيح البخاري ٢ / ١٧٨

١ ـ سجلت في كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) الاحاديث الواردة من طريق الصحابي ابي سعيد الخدري فكانت (٤٣) حديثاً ، مستدلا بها على كثرة الاحاديث الواردة فيه عليه السلام وكثرة طرقها من الصحابة والتابعين

اسماء الصحابة	اسماء الكتب
٩ ـ ام سلمة	مسند ابي داود ٤ / ١٥١
١٠ ـ انس بن مالك	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
١١ ـ تميم الداري	ينابيع المودة ٥٩٠ عن العرائس للثعلبي
١٢ ـ ثوبان	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
١٣ ـ جابر عبد الله الانصاري	ينابيع المودة ٥٣٦
١٤ ـ الجارود بن المنذر العبدي	منتخب الأثر ١١٢ عن اربعين المجلسي
١٥ ـ حذيفة بن اسيد	منتخب الاثر ٥٠
١٦ ـ حذيفة بن اليمان	ينابيع المودة ٥٨٨
١٧ ـ ابو قتادة الحرث بن الربيع	الشيعة والرجعة ١ / ٥٠
١٨ ـ الإمام الحسن عليه السلام	كفاية الاثر
١٩ ـ الإمام الحسين عليه السلام	كشف الغمة ٣ / ٣٠١ ط ٢
٢٠ زر بن عبد الله	كشف الغمة ٣ / ٢٦١ ط ٢.
٢١ ـ زرارة بن عبد الله	غاية المرام ٢٠٠
٢٢ ـ زيد بن ارقم	منتخب الاثر ٤٨
٢٣ ـ زيد بن ثابت	منتخب الاثر ٢٠٣
٢٤ ـ سعد بن مالك	كفاية الاثر
٢٥ سلمان الفارسي	مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١ / ١٤٦
٢٦ ـ طلحة بن عبيد الله	منتخب الاثر ٤٥١ عن البرهان في علامات مهدي آخر الزمان
٢٧ ـ عائشة بنت أبي بكر	ينابيع المودة ٥٢٠

اسماء الصحابة	اسماء الكتب
٢٨ ـ العباس بن عبد المطلب	غاية المرام ٧٠٤
٢٩ ـ عبد الرحمن بن سمرة	غاية المرام ٧٠٧
٣٠ ـ عبد الرحمن بن عوف	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٦
٣١ ـ عبد الله بن أبي اوفى	منتخب الاثر ١١٦ عن بحار الأنوار
٣٢ ـ عبد الله بن جعفر الطيار	الغيبة للنعماني ٤٦
٣٣ ـ عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
٣٤ ـ عبد الله بن عباس	الفصول المهمة ٢٧٨
٣٥ ـ عبد الله بن عمر	الفصول المهمة ٢٧٧
٣٦ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٢
٣٧ ـ عبد الله بن مسعود	الفصول المهمة ٢٧٩
٣٨ ـ عثمان بن عفان	كفاية الاثر
٣٩ ـ العلاء	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥
٤٠ ـ علقمة بن عبد الله	الفصول المهمة ٢٧٩
٤١ ـ الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام	مسند ابي داود ٤ / ١٥١
٤٢ ـ علي الهلالي	مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٦٥
٤٣ ـ عمار بن ياسر	منتخب الاثر ٢٠٥
٤٤ ـ عمران بن حصين	منتخب الاثر ٥٠
٤٥ ـ عمر بن الخطاب	الشيعة والرجعة ١ / ٤٦
٤٦ ـ فاطمة الزهراء عليها السلام	كفاية الاثر
٤٧ ـ قتادة	الملاحم والفتن ٥١
٤٨ ـ قرة المزني	ينابيع المودة ٢٢٠
٤٩ ـ كعب	الملاحم والفتن ١٣٧
٥٠ ـ معاذ بن جبل	المهدي للصدر ١٩١

التابعون الذين رووا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه واله في الامام المهدي عليه السلام

عشرات الصحابة الذين سمعوا احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله في الإمام المهدي عليه السلام ، ومئات من التابعين رووا تلك الاحاديث عن الصحابة ، وبين يديك الآن اسماء خمسين تابعيا من رواة احاديث الرسول صلى الله عليه وآله في الامام المهدي عليه السلام اكتفينا بالاشارة ازاء اسم كل واحد منهم بمصدر واحد للحديث طلبا للاختصار .

اسماء التابعين	اسماء الكتب
١ - ابراهيم بن علقمة	الملاحم والفتن ٥٢
٢ - ابراهيم بن محمد ابن الحنفية	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
٣ - ابو اسماء الرحبي	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
٤ - ابو سلمة عبد الرحمن بن عوف	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٦
٥ - ابو الصديق الناجي	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٨
٦ - ابو عمرو المقري	منتخب الاثر ٤٤٩
٧ - ابو نضرة	مسند أبي داود ٤ / ١٥٢
٨ - ابو هارون العبدي	الغيبة للشيخ الطوسي ١١٦ النجف
٩ - اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩

اسماء التابعين	اسماء الكتب
١٠ ـ الاصبغ بن نباتة	غاية المرام ٦٣٩
١١ ـ اياس بن سلمة بن الاكوع	كفاية الاثر
١٢ ـ ثابت بن دينار	ينابيع المودة ٥٩٢ ط النجف
١٣ ـ جابر الصدفي	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٩
١٤ ـ جابر بن يزيد الجعفي	ينابيع المودة ٥٩٣
١٥ ـ الحارث بن سعيد بن قيس	منتخب الاثر ١١٨ عن المناقب
١٦ ـ حنش بن المعتمر	منتخب الاثر٤٦
١٧ ـ زاذان	دلايل الامامة
١٨ ـ زر بن حبيش	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩٠
١٩ ـ الزهري	الملاحم والفتن ٦٨
٢٠ ـ السائب الثقفي	كفاية الاثر
٢١ ـ سالم بن عبد الله بن عمر	الغيبة للنعماني ٤٥
٢٢ ـ سعيد بن جبير	غاية المرام ٦٩٢
٢٣ ـ سعيد بن المسيب	مسند ابي داود ٤ / ١٩١
٢٤ ـ سلامة	مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١ / ٩٦
٢٥ ـ سليم بن قيس الهلالي	ينابيع المودة ٥٣٤
٢٦ ـ سلمان بن أبي حبيب	غاية المرام ٦٩٣
٢٧ ـ شهر بن حوشب	منتخب الاثر ٩٦ عن نفس الرحمان
٢٨ ـ طاووس اليماني	كفاية الاثر
٢٩ ـ عباية بن ربعي	ينابيع المودة ٥٢١
٣٠ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى	ينابيع المودة ٥٢١
٣١ ـ عطية العوفي	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥

اسماء التابعين	اسماء الكتب
٣٢ ـ علي بن الحسين عليه السلام	ينابيع المودة ٥٣٧
٣٣ ـ علي بن عبد الله بن العباس	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٨
٣٤ ـ علي بن علي الهلالي	مجمع الزوائد للهيثمي ٩/١٦٥
٣٥ ـ عمارة بن جوين العبدي	الغيبة للشيخ الطوسي ١١١
٣٦ ـ ابو زرعة عمرو بن جابر الحضرمي	سنن المصطفى لابن ماجة ٢ / ٥١٩
٣٧ ـ عمرو بن عثمان بن عفان	كفاية الاثر
٣٨ ـ عيسى بن عبد الله بن مالك	الشيعة والرجعة ١/ ٤٦
٣٩ ـ كثير بن مرة	البيان في اخبار صاحب الزمان ٩١
٤٠ ـ مجاهد	ينابيع المودة ٥٢٩
٤١ ـ الإمام محمد الباقر عليه السلام	ينابيع المودة ٥٣٧
٤٢ ـ محمد بن جارود العبدي	غاية المرام ٧٠٨
٤٣ ـ محمد ابن الحنفية	سنن المصطفى لإبن ماجة ٢ / ٢١٩
٤٤ ـ محمد بن المنذر	غاية المرام٦٩٢
٤٥ ـ محمود بن لبيد	كفاية الأثر
٤٦ ـ مطرف بن عبد الله	منتخب الاثر ٥٠
٤٧ ـ المعلى بن زياد	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٥
٤٨ ـ مكحول	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٦
٤٩ ـ نافع مولى ابي قتادة	صحيح البخاري ٢ / ١٧٨
٥٠ ـ وهب بن منبه	البيان في اخبار صاحب الزمان ٨٧

ولادة الإمام المهدي عليه السلام

ذكر المؤرخون وأهل السير وعلماء الحديث ولادة الإمام المهدي عليه السلام في (سر من رأى) في النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ[١] الموافق سنة ٨٦٨ م وقد جاء حديث ولادته عليه السلام بطرق كثيرة عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام كما جاء عن غيرها .

واسهب المؤرخون في ذكر مراسيم الولادة التي اجراها الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، فقد تصدق عنه بعشرة آلاف رطل خبزاً ، وعشرة آلاف رطل لحماً[٢] وعق عنه ثلثمائة شاة[٣] الى غير ذلك من المراسيم التي اجراها عليه السلام .

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه حديث ولادة الامام المهدي عليه السلام عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم رضي الله عنهم قال : حدثتني حكيمة بنت الإمام محمد التقي الجواد قالت : بعث اليّ الإمام ابو محمد الحسن العسكري وقال : يا عمة اجعلي افطارك الليلة عندنا فانها ليلة النصف

---

١ ـ الارشاد ٣٧٢ . بحار الانوار ١٣ / ٢. الذخيرة الى المعاد ٣٢٧. منتخب الاثر ٣٣٨ . اكمال الدين ٢ / ١٠٤. العيبة للشيخ الطوسي ١٤١ ينابيع المودة ٥٤٢. المجالس السنية ٥ / ٤٧٩. كشف الاستار ٥٣. فضائل الإمام علي ٢٤٣. موجز تواريخ اهل البيت للسماوي ٩٥. الفصول المهمة ٢٧٧. المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ٢٤٩. كشف الغمة ٣ / ٢٣٦ ط ٢. الأئمة الاثنا عشر لابن طولون ١١٧. اعيان الشيعة ٤ ق ٣ / ٢٢٧ نور الابصار ٢٤٣. منتهى الأمال للقمي ٢ / ٢٨١. جوهرة الكلام ١٥٧. الاتحاف بحب الاشراف ٩ . الصواعق المحرقة ١٠٠ اليواقيت والجواهر ٢ / ١٤٣ البرهان على وجود صاحب الزمان ٦٤ مرآة الاسرار . تاريخ آل محمد للقاضي بهلول بهجت ٢٧٠. غاية الاختصار ٦٥ . روضة الاحباب للسيد جمال الدين . معراج الوصول الى معرفة فضيلة آل الرسول . روضة المناظر . الاعلام ٦ / ٣١٠. اثبات الوصية ١٩٥ .

٢ ـ اكمال الدين ٢ / ١٠٥ .

٣ ـ اكمال الدين ٢ / ١٠٦ .

من شعبان ، فإنّ الله تبارك وتعالى يظهر في هذه الليلة حجته في ارضه .

قالت : فاستلقيت ونمت ثم قمت وقت السحر وقرأت الم السجدة ويس ، فاضطربت نرجس فكشف الثوب عنها فإذا به المولود ساجد ، فنادى ابو محمد هلمي اليّ ابني يا عمة ، فجئت به اليه فوضع قدميه على صدره وادخل لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه واذنه ومفاصله الخ[٤] .

---

٤ ـ اكمال الدين ٢/ ١٠٦ .

الشيخ محمد حسين المظفر

الثقلان

الكتاب والعترة

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا
بعدي أبداً. الا وانهما لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض.
«الرسول الأكرم»

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد ابراهيم علي
الكتبي

بيروت ص.ب ٢٥/٢٢٩

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

« إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » .

بلغ هذا الحديث الشريف من الشهرة ما أغنى عن استطراد مصادره ، فقد رواه المؤالف والمخالف ، أما المؤالف فقد تقيد والتزم بالنص قولاً وعملاً ، وأما المخالف فإنه قدم وأخّر على هواه ، وحول اللفظ على مزاجه ، وجعل النص مضموماً ناقصاً بالتطبيق ـ وقصر عمله عن القيام بحملة مضامينه .

فكما فصل اليهود بتحريف التوراة كما أخبر الله تعالى في قرآنه العظيم فصل بعض من الامة المرحومة في التزييف والتحريف ، كرهاً بالأنبياء ونقمة على الأولياء ، وانتقاماً من الصالحين ، وكل ذلك دليل على عدم الايمان بالله في الأصل فكان الفرع ما ذكرناه . .

والكتـاب الذي بـين يديـك (الثقلان ـ الكتـاب والعـترة) من الكتيبـات أو قـل من السـوانـح والعجـالات التي تنـاولت الصغـير في الفـاظـه من الأحاديث النبوية الشريفة ، فشرحت من غـير إسهاب ، وفصلت من غـير إملال ، دفاعاً عن الإسلام ، لأن الله الغاية في الأول والآخر ، وشتان مـا بين الحق والباطل لمن كان له أذنان للسمع أو قلب شاهد .

ويسر (مؤسسة النعمان) أن تعيد طباعة هذا السفر القيم الذي تركت متعة الإستفادة من مضامينه للقـارىء ، وحسبها أنها قـد أقامت الحجـة ، وذكّرت ، ولعل الذكرى تنفع المؤمنين والله ولي التوفيق

الناشر

الحاج حسن الكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي المن واللطف ، والرحمة والعطف ، وصلاته وسلامه على صفوة البشر ، محمد وعترته الغرر ، الثقل الكريم ، وعدل القرآن العظيم ،اللذين من تمسك بهما اهتدى ، ومن تخلف عنهما ضل وهوى .

الثقلان

الكتاب والعترة

وبعد فان من حظوة المرء ان يتلقى دينه عن برهان ودليل ، يوصلانه الى البصيرة واليقين ، وكان من توفيقه جلّ شأنه ان هداني الى الاسلام دين الفطرة ، فكنت عليه بالفطرة الى أن ابصرت رشدي فقامت لدي على صحته براهين تفوت حد الاحصاء ، وما كان العقل لينفرد بقبول هذا الدين المستقيم ، بل كادت كل جارحة ان تلمس وتحس الايمان ايقاناً بآياته .

وأحسب ان رسوخ هذه العقيدة في النفس وتوطنها القلب ، ذلك التوطن الذي لا يبتغي عنه بدلا ولا تحويلا ، ولا يعتريه تضعضع ولا صدوع ، طاريء من اشتراك الحواس والجوانح والجوارح كلها مع العقل في قبول تلك العقيدة وتلقيها .

وبتلك الفطرة كان ولائي لعترة نبي الرحمة والسلام (ص) وقولي بامامتهم ، فمن اليوم الذي نطق به لساني باسم هذا النبي الامي ـ محمد ـ انطلق باسماء عترته لا سيما ـ علي ـ وعلى تلك الفطرة درجت الى أن بلغت

من الادراك والمعـارف مبلغاً لا يقبـل الله تعالى معهـا الايمان بـلا برهـان ، فانثالت عليّ ادلة بالنزر منها تقتنع البصيـرة بوجـوب ذلك الـولاء ، وصحة تلك الامامة ، فكانت العقيدة مـزيجة من الاسـلام والايمان ، ومن النبـوة والامامة .

وقد شدّ الكتـاب والسنة أزر العقـل على الـذهاب الى إمـامة العتـرة وولائهم ، وقد أوردت شطراً منها في كتابـ عصور الشيعة ـ وجئت بالبرهان العقلي على هاتيك الامامة في رسالةـ الشيعة والامامة ـ .

واستطردت في كتاب العصور حديث (الثقلين) وأوجزت البيان عن مدلوله ، دأبي فيما ذكرته هناك من آية ورواية ، وكان هذا الحديث الشريف جديراً لبسط القول عن منطوقه ، لما جمعه من مقاصد جليلة حقيقة بالرعاية والعناية ، وأجـد ان هذا الحـديث وحده يغني البصـير في ولاء العترة أهـل البيت وإمامتهم عن كل برهان سواه .

ومـا أكثر من كتب ومـا كتب في شأن هـذا الحـديث ولكن سـلاسة الفاظه ، وفصاحة بيانه ، لا تحوجك الى سبر هاتيك الكتب المبسوطـة ، في الحصول على ما يدل عليه هذا الحديث الشريف ، بل القاؤك بنظرة واحدة على فصيح عبارته يرجعك وانت مطمئن القلب بما دل عليـه ، واثق النفس بما افاده .

إن مما منح به نبينا العربي (ص)فصاحـة المنطق ، وكـان حقيقاً بتلك الفصاحة ، لأنه وليد تلك المـدرة التي جمعت فصحاء العـرب ، المجتهدين في انتقـاء البليـغ من الالفـاظ ، وهـو بعــد في افصحهم بيتـاً ، وأفضلهم معـارف ودراية ، ورضيـع تلك الباديـة النقية ، التي تغـذت الهواء الـطلق وحاربت البطنـة بقلة الغذاء ، فخفت منهـا الطبـاع والابدان وصفت منهـا

الافكـار والارواح ، وأنت خبير كيف تـدني المـرء هـذه الخـلال من مـراقي الفصاحة والبلاغة .

ولو لم تكن له تلك الولادة وذلك الرضاع لكـان له من النبـوة المحل الارفـع من بليغ البيـان ، لأن النبي يجب أن يكون أفضـل أهل زمـانـه في شؤون الفضل ، فوجب ان يكون افصح الناس ليقوى بفصيح منطقـه على تبليغ الناس وافهـامهم ، واقامـة الحجة عليهم بـالبيان ، ولا تغلب حجـة أحد حجته ، ولا يعي إمام أهل الفصاحة والبلاغة .

وإن من مميزات بلاغته ان بيانه مفهوم لكل أحد ، العام والـخاص والعـالم والجاهـل ، والفصيح والالكن ، والـذكي والغبي ، خصوصـاً فيـما يريد به إعلام هؤلاء جميعـاً ، واقامـة الحجة عليهم كـافة ، وقـطع المعاذيـر منهم اجمع .

فحديث ـ الثقلين ـ من ذلك البيان البليغ الذي عني به اعلام الناس عامة ، عن أمر فيه حيـاة الأمة السيـاسية والـدينية بـل ان في الامامـة حياة الأمة من كل ناحية ، أليس الامام قائماً بوظـائف الرسـول ، ولا تفوتـه إلا النبوة ، تلك المنزلة الخاصة ، فالامام المرجع لهاتيك المقاصـد الساميـة التي بشر بهـا الرسـول الاكرم في دعـوته ، ودعـا بهـا النـاس الى اقتـطاف ثمـار السعـادة عاجلة وآجلة ، وهـذه المقاصـد هي كـل شيء في حيـاتي الأمـة ، فـالامة في حـاجة لا منـاص عنها الى ذلـك الامـام المصلح في جميـع شؤون الحياتين .

فلما كان هذا الحـديث الشريف معنيـا به الأمـة جمعاء حق أن يكـون من فصاحة البيان وسلاسة التعبير صالحاً كـل الصلاح لأن تقـوم به الحجـة عليهم جميعاً ؛ ويقوى الكل على فهم القصد منه من دون عناء وكلفة .

وكـان هذا الحـديث الكـريم من هـاتيـك الادلـة التي ارغمتني على الاعتقـاد بـامـامـة أولئـك الفئـة من أهـل البيت ، وقـادتني الى القـول بعصمتهم ، والـزمتني بـولائهم ، والاذعـان بـامـور أخـرى تخصهم ، كـما سنفصح عن بعضها ، فرغبت ان أسبك ما وصل اليه فهمي لتلك المقاصد منه بيانا ينطق به لسان القلم ، فان كنت اصبت الهدف فتلك السعادة التي رجوتها من ارشاد نبي الرحمة والاصلاح (ص) ، وان اخـطأ السهم الرميـة فـاجدر بك ـ ايهـا المؤمن ـ وان تـأخـذ بي الى سنن الـطريق ، ومستقيم السنن ، فـان المؤمن مرآة أخيـه المؤمن ، ومن أحق من المؤمنين بـالنصيحـة والتعاون للوصول الى معـارج الحق ، وما ضـالتي المنشودة إلا بلوغ الحق ، ونصرة الحق .

وهـا أنذا أضـع ما فهمتـه من هذا الحـديث الشـريف أمـام بصـرك وبصيرتك بعبارات ليس فيها تطويل يبعـدك عن القصد ، ولا وجـازة تخل بالغرض ، واذا فاتني بعض أغراضه أو اجتزت حدود مقاصده فامر لا غرابة فيه ، شأن عامة البشر ممن لم تجب العصمة لهم ، وكان الخـطأ غير مستنكـر منهم .

واني لأتعوذ به عـز شأنـه من العمد في المخـالفة ، واقتحـام الخطأ في القول والعمل ، كما أسأله تعالى ان يجيـرني من السهو والغفلة ، انـه سميع مجيب .

الشيخ محمد حسين المظفر

نص الحديث

اختلفت الـروايـات في نص هـذا الحـديث الشـريف ، غـير ان الاختـلاف الذي جـاء فيه لا يغـير مفاده ، ولا يجعـل منه منـزعاً للتـأويـل الزائغ ، ولا ذريعة للفرار عما الزم به منطوقه .

وهذا الاختلاف يشهد لما قيل : من ان الرسـول الامين (ص) نـطق بمفاد هذا الحديث في عدة مواطن ، مراعياً وحدة المعنى والغـرض ، كما ان تعدد الرواة لـه وتعدد الـطرق لروايتـه ينبينا عن تعـدد تلك المواطن ، ومن تلك المواطن حجة الوداع يوم عرفة عند مجتمع الناس ، ومنها يـوم الغديـر في خطبته ، ومنها مرض موته عند وصاياه لامته .

ونحن نورد لك أحـد تلك النصوص ، أو أوسـطها بيـانا وظهـوراً ، وهو قوله (ص) : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعـدي ابـداً ، أو وإنهما لن يفتـرقـا حتى يـردا علي الحوض » .

وجاءت في بعض نصوص هذا الحديث تصريحات عن الغرض المعني أوفـر مما هـو موجـود في هذا النص ، امثـال قولـه (ص) :(إني تارك فيكم خليفتين) بل لفظ ـ الثقلين ـ وقـوله في آخـره :(ولا تعلموهـم فـانهم اعلم منكم) الى غير ذلك ، تـركناهـا أخذاً بأواسط الامور ، وجعلنـا لفظ هذا النص المتقدم هدف البيان ، ومقصد القول .

السند

بلغ هـذا الحـديث الشـريف من الشهـرة مـا اغنى عن استـطراد مصـادره ، فانـه قد رواه الفـريقان واعتـرفت به الفـرقتان وعـرفه الخـاص والعـام ، بل حفـظه الصغـير والكبـير ، والعـالم والجـاهـل ، فهـو فـاكهـة الاندية ، وفي مذاق الافواه . حتى كاد ان يتجاوز حد التواتر ، وللطمأنينـة نشير الى بعض تلك المصادر .

فهذا أحمد يرويه في مسنـده من طرق عـديدة عن جمـاعة كثيـرة انظر المسـنـد (٣ : ١٧ و ٥٩) و (٤ : ٣٦٧) و (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) الى غيرها .

وهذا مسلم يرويـه في صحيحه في فضـائل عـلي (ع) من عدة طـرق والحاكم يرويه في المستدرك (٣ : ١٠٩) .

وابن حجر في صواعقه بعد الآية الرابعة من الآيات النازلة في فضـل أهل البيت يقول : ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا عديدة وردت عن نيف وعشرين صحابياً .

والسيوطي رواه في (احياء الميت بفضـائل أهـل البيت) المطبـوع في

هامش (الاتحاف بحب الاشراف) من طرق كثيرة .

والشيخ سليمان يرويه في ينابيع المودة ص ٢٤ طبعة بمبيء من طرق كثيرة جداً ، عن الترمذي وابن ماجة والطبراني والثعلبي في تفسيره وعن كثير سواهم .

والحافظ الطبري في ذخائر العقبى ص ١٦ من عدة طرق .

إن استقصاء الرواة والطرق لهذا الحديث الشريف يخرجنا عن الصدد ، ويخرج هذه الرسالة عما وضعت له من الوجازة ، وقد عرفت ان هذا الحديث جاء طي حديث الغدير أيضاً ، فكثير ممن روى حديث الغدير قد رواه ، فهل يا ترى كم يبلغ رواة الغدير والكتب التي ذكرته ، ولقد قيل : ان طرقه قد بلغت مائتين وخمسين طريقاً وان من يتصفح الكتب التي كتبت عن حديث الغدير لا يستبعد هذا العدد الجم ، ولو جاء حديث الثقلين ضمن البعض من هذه الطرق ـ وقد جاء فعلا ـ لكان متجاوزاً حد التواتر .

وان شئت ان تستوضح الحال وتقف على حال السند وطرقه تفصيلا فدونك الكتب المبسوطة ، ويغنيك منها كتاب العبقات .

معنى الحديث

اصبح الاخذ بهذا الحديث لزاما ، والعمل به حتما ، بعد أن أصبح حجة في سنده ، غير اننا نريد أن نفقه معنى الحديث لنرى ما يرشدنا اليه ، ويدلنا عليه ، فنسير على ضوئه ، ونستضيء بمصباحه .

والحديث كما أشرنا اليه لا لبس فيه لا تعقيد ولا إجمال ولا اغلاق ، فبسلاسة الفاظه ، وانتظام سبكه وفصاحة بيانه تطمع كل أحد في فهم مقاصده . من دون غور في الاستخراج ولا تكلف في الاستنباط واليك ما افهمه منه .

ولا أريد أن أفرض فهمي عليك ولكني أريد منك أيها القاريء الكريم أن تنظر الى الحديث نظرتي اليه متجرداً عن النزعات الطائفية . بعيداً عن العقائد المذهبية . لنرى ماذا يوصلنا اليه هذا الحديث الشريف فانـي لأرى ان لهذا الحديث الكريم اثراً قيما في توجيه الامامة ، وجعل القيم على الشريعة ، المستودع لعلم الكتاب ، الذي به هداية الأمة لو تمسكت به ، والأمة اليوم وقبل اليوم في حاجة كبرى الى الهداة الذين تجتمع بهم الكلمة ، ويوحد المذهب ، ولا اجتماع ولا وحدة والمذاهب شتى ، والآراء متفرقة ، والعقائد توحيها الاهواء ، فالحديث على ايجازه يقودنا الى الوحدة سياسياً ومذهبياً ، وتلك من معاجز بيانه ، وحججه البالغة .

اني تارك فيكم

جاء في بدء هذا الحديث المبارك قوله (ص) : (إني تارك فيكم) وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة ، كل جيل جيل وكل عصر عصر وهذا الاسلوب من البيان جاء على نهج أرباب المحاورات وجرى على صيغ أوامر أهل الأمر ، ومن اليهم الحل والعقد وحين كان تبليغاً للحاضر والبادي والشاهد والغائب تنقطع عنده المعاذير ممن يزعم ان البلاغ لم يصل اليه بان الرسول (ص) نصب للأمة علماً يوضح لها ما أشكل من الكتاب ويعرفها ما تجهل من معالم الشريعة وأماماً يخلفه في اداء وظائفه عدا شعار النبوة وطابعها الخاص .

ونعرف الغرض المعني من هذه الكلمة ـ لو التبس علينا القصد وليس بملتبس ـ بمثل كلامه من رجال ينظرون الى ما وراء اليوم ويرون انفسهم مسؤولين عما في غد ومنه نتقرب الى معرفة ما كان على الرسول (ص) من الوقوف لنصح الأمة وهدايتها عمر الدهر وللقصد من كلامه الذي يريد به ذلك النصح والرشد لو غاب عنهم فان الشيء يعرف بنظائره وأشباهه .

ونضرب أمثلة نفرضها من مواقف رجال تختلف مقاديرها في المجتمع ومسؤولياتها أمام الناس ليكمل لنا المقياس ونقوى على الزنة . واليك شيئاً

مما أريد فرضه .

فلو ان أحداً من سواد الناس يريد سفراً نائياً وله أهل وصبية يقوم بتغذيتهم وتربيتهم وليس لهم سواه معول في الاعاشة والتقويم وقال لهم عند محاولته السفر : إني تارك فيكم فلانا . فماذا تفهم من هذه الكلمة اتراه يريد غير نصب الخلف عنه في القيام بمهماتهم وتقويم إودهم لتسكن بذلك نفوسهم وتطمئن قلوبهم لأن النفوس من شأنها الفزع والهلع إذا فقدت الكفيل الضمين والاب الحاني الرؤوف .

أو ان أحداً من أرباب التجارة أو الصناعة وله مراجعات ومراسلات وعمال وكتبة أو معامل وصناع وهو يريد السفر بعيداً عن محله . وأنت تعلم كيف يؤول أمر تجارته أو صناعته إذا لم يجعل القيم النائب عنه في تسيير الامر فلو قال وهو على أهبة السفر : إني تارك فيكم فلاناً . اتراه يعني غير الخلف عنه القائم مقامه في تسيير دفة أعماله والمرجع لهم فيما لهم من حق وراتب ، وفيما له عليهم من حق ، فانه لا ينتظم أمر كبير ولا يتم أمر جليل ، من دون زعيم يقوم على رأس ذلك الامر والعمل .

وهكذا يتضح الامر جلياً من أرباب الادارة والحكم فانه لا يغيب أحدهم عن مقر وظيفته إلا ويجعل له الخلف في إدارة أحوال الناس ، وان غاب ولو يوماً واحداً من دون نائب وخلف لم يأمن من اضطراب حبل الامن ، ومن ارتباك الناس لوقوف اعمالها التي ترتبط بوظيفته ، فكيف اذا غاب زمناً طويلاً . اتراه يستتب الامن ، ويسير النظام من دون خلف يقوم بتسيير البلاد ، ومن ثم لا يسوغون لذلك الاداري ان يغادر البلاد ويتركها هملا من غير راع وسائس يقوم مقامه فلو قال عند سفره : إني تارك فيكم فلانا ، الست تراه يريد القائم مقامه في اداء وظيفته وإدارة أعماله المسؤول عنها .

ويظهر لنا الحال واضحاً في الملك ورعيته فيما اذا حاول الملك رحلة الى بلاد اخرى ، أو أريد به ارتحالا الى الاخرى وقال للناس وكلهم قلب فزع حذراً من الاهمال أو الاخلال بجعل النائب عن شخصه ، القائم بكبير اعماله : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا تراه يقصد من هذا القول عند تلك الرحلة أو ذلك الارتحال ، اتراه يعني غير مكانه وجعله الخلف من بعده ، بما له من وظيفة وحق ، وما للباس عليه من حق ، تطميناً للنفوس الجائشة ، وتهدئة للقلوب الخائفة . لأن الرعية تجد نفسها من غير سائس كالنعم بغير راع . فاذا عرفت الخلف بعد السلف هدأت بالا واطمأنت جأشاً ، لا سيما اذا كان في الامة من يطمع بالعرش ، وينتهز الفرصة للوثبة ، أو كان هناك أعداء ينتظرون خلو البلاد من ذلك الملك ليثبوا على عرشه ، ويبطلوا الجهود التي قام بها في خدمة البلاد واصلاحها أفهل يا ترى يفهم الناس من كلمته تلك والحال على ما عرفت غير أنه يريد الاعلام عن الخليفة عنه ، والقائم باعماله عند غيابه .

ونعرف الحال من كثب في العالم المرشد الذي افاد الناس بنصائحه وتعاليمه ـ والناس في حاجة ابداً الى المرشد الصالح ـ فلو اراد هذا الدليل المرشد ان يغيب طويلا غيبة آيب أو مفارق ، والناس لا تعرف من يصلح للارشاد من بعده كما يعرفه ذلك العالم الناصح ، وهل يا ترى ان أهل العلم والعرفان ادرى بامثالهم ام سائر الناس . ويجد نفسه مسؤولا أمام الله والعقل والناس لو تركهم وانفسهم يخبطون خبط عشواء في اختيار المرشد الناصح ، والعالم الصالح ، على أن الناس في كل عصر غير نقية من أهل الزيغ والضلال ، أو أرباب المطامع الشخصية ، فلو قال ذلك العالم المصلح وهو على جناح سفر : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه الناس الذين التفوا حوله . وهم ينتظرون نصحه ورشده . أفلا يرونه انه

دلهم على الخلف الناصح الذي فيه الهدى والنجاة .

هذه أمثلة نزرة وما أكثر امثالها أضعها نصب عينيك لتقرب بها من فهم القصد من تلك الكلمة الكريمة التي وردت في صدر الحديث الشريف . فان الشيء يعرف بنظيره . وان هذا الاسلوب من البيان جار عند جميع الطبقات من البشر . الذين يرون أنفسهم مسؤولين عما وراءهم .

وما جاءت هذه الامثلة إلا عن مسؤولين عن ناحية خاصة ، وأما لو كان الذي يحاول الغياب ممن يجمع مسؤوليات عديدة . والناس لديه شرع سواء . يرعى حالهم من ناحيتي المعاش والمعاد . ويروم لهم السعادة في الحياة العاجلة والآجلة وليس في الناس مثيله من يجمع شرف العلم وفضيلة العمل . ويضم الى الدين الادارة حتى يفزعوا اليه عند غيابه . إلا أن يدلهم هو على ذلك البديل الذي يصلح للقيام بمسؤولياته ، فاذا قال للناس وقد شد رحله وقدم راحلته للسفر ، والناس حوله ينظرون الى نبرات شفتيه وقسمات وجهه التي تتبع في الرضى والغضب والحزن والفرح تقاطيع صوته ، وتقطع عباراته ، وينتظرون منه النصح والارشاد ، كما اعتادوه منه ولمسوه من قوله وفعله : إني تارك فيكم فلانا ، فماذا يفهم منه ذلك الخلق الجاثي حوله غير أعلامهم عن جعل الخلف بعده لطفاً بهم وعطفاً عليهم ، ذلك الخلف الذي يقودهم الى سبل السعادة والخير ، ويصدهم عن مهاوي الشقاء والشر ، من الناحيتين السياسية والدينية ، وفي الحياتين الفانية والباقية .

هذا ما يفهمه الناس في عرف المخاطبات والمحاورات ؛ والوصايا والالزامات ، على ان ذلك القائل ليس له صفة إلهية خاصة ، فكيف اذا كان سفيراً بين الخالق والخليقة ، ومرسلا رحمة للعالمين ، ليخرجهم من

الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقوة الى السعـادة ، وكان ما ينطق به وحياً بوحي علمه شديد القوى ، فاذا قال وهـو على أهبـة السفر الى الرفيق الاعلى ، قال وهو يعلم انه المسؤول عن الامة جمعاء أمـام الخـالق والخلق والعقـل والمنـطق ، قـال وهـو يعلم أنـه أهـدى الى الخلف الصالح النـاصح ، وأعـرف بالامـام الهادي ، قـال وهو يعلم انـه لو تـرك الدلالة على خلفه لم يسلم من الملامة ، قال وهو يعلم انه مسؤول عن الامة من جميع نواحي حياتها دنياً واخرى ، فـانه المشـرّع والمنفذ والعـالم والحاكم والمـرشد والسـائس قال : إني تـارك فيكم الثقلين ، فماذا تـرى يقصد من كلمته هذه أتـراه يريـد غير النص عـلى الخليفة من بعـده الذي يقـوى على القيـام بوظـائفه بعـد غيابـه ، وعلى النهـوض باعبـاء مسؤوليته ، فـرضاً لا رخصة فيه ، وتعييناً لا خيار بـه ، وإمامـاً لا بدل عنـه ، وانه هـو الجاعـل دونهم ، والمعين دون رأي منهم .

وما قوله إني تارك إلا كما لو قال : أمرني العليم عـز وجل أن أنصب عليكم أماماً وخليفة من بعدي . لأنـه لا ينطق عن الهـوى أو الحب لذوي القربى بل لا ينطق إلا عن وحي يوحى اليه .

ويشهد لهذا المفاد من انه (ص) يقصد بهذا القـول نصب الخليفة من بعده ما ورد في بعض نصوص الحديث : اني تـارك فيكم خليفتين . أنـظر مسنـد أحمد (٥ : ١٨٢ و ١٨٩) وهـل بعد التصـريح بلفظ الخـلافـة من نص .

ومن عرف مناسبـات المحاورات مـع قرائن الاحـوال لا يجد فـرقاً في فهم القصد بين التصريح بلفظ الخلافة أو الاكتناء عنها بلفظ الثقلين ، لأن دلالته على الخلافة والامامة واضحة لمن يريـد أن لا يكون بينـه وبين اللفظ ومدلوله شيء من المرتكزات التقليدية ، والعقائد الاتباعيـة ، فان لـلارتكاز

والعقيدة سيطرة على ظهور الدليل بل ونصه ، لان المرء جهده يصرف اللفظ عما دل عليه الى ما يراه ويعتقد به ولو رجعنا الى ما ترشدنا اليه الادلة دون ان تدخل في الدلالة الاغراض والاهواء لم تبعد الشقة بين أهل المذاهب والعقائد .

ولو قيل : إن الرسول (ص) يترك في كل غزوة يقودها بنفسه أميراً على المدينة . وينوه بخلافته عنه فلماذا لا نرى خلافة أولئك الامراء . وقد صرح (ص) بتلك الخلافة .

لقلنا : إن هذه الخلافة خلافة على أمر خاص . وبلد خاص . أيام حياته خاصة . وفي أيام معدودة . واين هذه من تلك الخلافة العامة بعد وفاته . وعلى الامة جمعاء . الى أمد غير محدود . بل صرح (ص) في بعض نصوص الحديث أنه سوف يدعي فيجيب . أليس هذا إذن وقت التخليف ونصب الرائد الراعي . والامام العام . الإمام الذي لا غنى للأمة عنه . القائم ـ لكفايته ومقدرته ـ بوظائف الرسول (ص) واعباء مسؤوليته . وما على الرسول إلا البلاغ المبين . وما عليه اذا لم تسمع الأمة قوله وتطع أمره . وإذا خالفوه فانما أساؤا لأنفسهم . وحادوا عن الطريق الذي هداهم اليه ووجب عليهم السلوك فيه . وليس عليه ولا على الخلف بعده غضاضة إذا عمد الناس على خلافها وتركوا الائتمام بها .

وإذا كان النبي (ص) لا يترك المدينة أياما قليلة بغير خليفة وأمير . فكيف يترك الامة كلها عمر الدنيا بغير قائد ورائد . وأمام وخليفة . يجمعهم على الهدى والرشاد ويدلهم على الخير والصلاح . ويعرفهم ما جهلوه من معاني التنزيل واحكام الشريعة ، ويصرفهم عن مهاوي الجهل والفساد مع حاجتهم الى تلك الدلالة وذلك التعليم والارشاد . وإلى هذا الصرف والصد .

الثقلين

قال في القاموس في (ثقل) : والثقل محركة متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون . ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي .

وكفى ما في القاموس عما يذكره سواهم من أرباب المعاجم اللغوية . لأن القصد من الاستشهاد به ان نعرف المعنى المطابقي للثقل عند أهل اللسان فمن هنا تعرف ان التعبير عن الخلف بعده بالثقل تلويح بل تصريح عند أرباب المحاورة والبيان بعظم شأن الخلف لفاسته . وهذا وحده يغني الناس في وجوب العناية بذلك الخلف فيما يليق بشأنه . فالعناية بالكتاب الاخذ بتعاليمه وتطبيق أحكامه . والعمل بنصائحه وعظاته . الى غير ذلك مما فيه سعادة البشر وصلاحهم والعناية بالعترة اعظامها وأكرامها والامتثال لاوامرها والارتداع بزواجرها والعمل بما تسديه من ارشاد وهدى الى ما سوى هذا مما فيه حياة الأمة دنيا وأخرى ، لأن جميع ما لديهم اخذوه عن الفرقان وعن الصادع به .

وليس الاهتمام في جودة خط الكتاب والتجويد به يعد عند أرباب البصائر من العناية به ، من دون اخذ بنصائحه وارشاداته ، وعمل باوامره

ونواهيه ، كما ان احترام العترة وحباءها وان كان من العناية إلا أنه لا يتم ذلك ما لم يتمسك بهداها التزاماً بما ترشد اليه وتدعو له من أوامر الكتاب والسنة ، لأن اللائق بالكتاب الذي نزل ناموساً للبشر ان يعملوا بتلك الأنظمة والاحكام ، واللائق بالعترة التي جمعت الى العلم الهداية والصلاح ان يستقي الناس من ينابيع معارفهم وعلومهم ، ويعملوا بنصائحهم ويقتدوا بهديهم ، فانهم لا يوجهون الناس إلا الى السعادة في الحياتين وهذا اللفظ وحده يرشدنا الى ما أشرنا اليه من شأن الثقل وان لم ننظره مقترناً بأول الحديث وآخره ، فكيف إذا نظرناه جملة واحدة مشفوعاً بصدره وبعجزه ، ومقروناً بالآيات والروايات اللواتي حثت على الاعتصام بهذا الخلف ، وما كان ذلك الحث والترغيب إلا لصلاح البشر انفسهم ، فان بالتمسك به الهدى وعدم الضلال عمر الدنيا ، كما يفصح به الحديث نفسه ويرشد اليه غيره ، وجاء في بعض نصوص هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ، كما يرويه في الينابيع ص ٢٩ عن المناقب ، ومن هنا تعلم ان التمسك بالعترة انما هو لحاجة الناس الى علم العترة وأما العترة فهي في غنى عن علم الناس لأنها اعلم منهم ، فأمر المصلح الأكبر خاتم الرسل (ص) بالتمسك بالثقلين ما كان للعناية بشأن الكتاب والعترة لانهما كتاب وعترة فحسب ، بل لان بهما الهداية والرشد للأمة عمر الدنيا ما استمسكت بهما ، فكما كانت رسالته رحمة للعباد كانت استدامة الرحمة بوجود الثقلين ، وهذا كله من الطافه تعالى بعباده وهو اللطيف الرحيم .

كتاب الله

لا مناص من أن يكون الكتاب خليفة للرسول (ص) وان لم ينص الرسول على خلافته عنه ، لأن فيه الحكم والاحكام ، والنصائح والاخلاق ، والتعليم والارشاد ، واخبار الاوائل وعبر الماضين ، الى ما سوى ذلك مما فيه حياة البشر لو تبصروا فيه وعملوا به ، وأي شيء من هذا تستغني الأمة عنه ، بل فيه كلما يحتاج اليه الناس ، كما يقول سبحانه :﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1] وكما يقول تعالى خطابا لسيد رسله (ص) : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[2] .

غير أن مداركنا قاصرة عن الوصول الى هذه الكلية الواسعة ، كما أن الكتاب لا يكون فيه مبالغة ولا غلو ولا كذب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا بد إذن من أن يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ، ويعلمون ما حواه ، ودلنا الكتاب نفسه على وجود العلماء بتأويله حسبما نزل وصدع به الرسول الاكرم ؛ وذلك حيث يقول سبحانه خطاباً لرسوله

(١) سورة الأنعام آية ٣٨. (٢) سورة النحل آية ٨٩.

الامين (ص) : **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾**(١) .

فهذه الآية المباركة اعلمتنا بصريح منطوقها ان في القرآن آيات محكمة وأخر متشابهة ؛ وان العالمين بتأويله بعد الله جل ذكره الفاضلين بين محكمة ومتشابهة قوم راسخ علمهم ، لا يعتريه تزلزل وشك ، ولا شبهة وريب .

وأما الناس الذين أخذوا علمهم عن الناس فلا يكون علمهم ثابت الاساس رفيع البناء ، بل لا بد أن يكون قائماً على شفا جرف هار ، وما قرن سبحانه علم التأويل لأولئك العلماء بعلمه تعالى إلا لأن علمهم مستمد من ينبوع فيضه .

وهل يا ترى يستودع الله تعالى جواهر علمه ومفاتيح غيبه عند من لا يقوى على احتمال تلك الوديعة ، ولا يعرف زنتها من الكرامة ؛ أو يودعها عند من لا يكون أميناً عليها ، ولا يقدر على الاحتفاظ بها ، فيلقيها الى كل من يلقاه ، ويفضي بها الى كل من يسأله ، وانّ لم يكن وعاؤه صالحاً لاستيداع ذلك الجوهر النفيس ، أو يستودعها عند من يتبع هواه لاهداه ، ويقتفي ميوله لا نزوله ، أو يزيغ ويخطىء ويسهو وينسى ، كلا ، لا يكون ذلك شأن من يريده العلام تعالى وعاءاً لاستيداع غيبه المكنون وعلمه الثمين ، ويريده اداة لاصلاح العباد بل لا بد ان يكون قوياً على احتمال

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٧.

عبء تلك الوديعة ، اميناً عليها ، يعرف عند من يستودعها والى من يفضي بها ، لا يعتريه الريب والشك والسهو والنسيان والزيغ والخطأ في ذلك العلم المستودع ، وإلا لاختلط الحابل بالنابل وصار ما ينسبه الى الله سبحانه مشوباً من حق وباطل وصواب وخطأ ، واذا علم الناس انه خزانة علم الله جل وعزّ وأدلى الى الناس بالخطأ والزيغ والضلال سهواً أو غفلة أو نسياناً فقد أوقع الامة بالفساد وقد أراد الله جل اسمه أيداعه العلم للصلاح وأخراج الناس من غياهب الضلال ومهاوي الجهل والشقاء .

فمن هذه الآية الكريمة علمنا ان للكتاب العزيز علماء بالتأويل لا يجهلون ، ومعصومين لا يخطئون ولا يسهون ولا ينسون .

كما أن الآية الكريمة دلتنا على فئة اخرى زعمت أن لها علماً بالتأويل ، وهم أرباب الزيغ والضلال ، الذين اتبعوا ما تشابه من الكتاب ، وابتغاء فتنة الناس وصرفهم عن الهدى والحق ، وابتغاء تأويله حسبما يريدون دون اخذ عمن جاء به ونزل عليه ، وهذا التنبيه منه جل لطفه تحذيراً لنا من أن يفتننا المبطلون ، ويحيد بنا عن الحق الزائغون ، وما حذرنا عن اولئك الفاتنين إلا ونصب لنا ادلة على تأويل الكتاب يفصلون بين محكمه ومتشابهه ، ويهدون الناس الى المحكم ويريدون بهم الهداية والسعادة .

قد يقال إن قوله تعالى ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾ ابتداء جملة والخبر قوله بعد هذا ﴿**يقولون آمنا به**﴾ فلا يكون عطفاً على لفظ الجلالة ، وعليه فيختص علم التأويل به جل علمه ، ولا يشاركه فيه أحد من البشر .

غير أني أقول : إن اجتهدنا أن نصرف الآية عما دلت عليه من وجود العلماء بالتأويل من عباده فلا نستطيع أن ندافع ما يلزم به العقل من وجوب الوجود لمثل هؤلاء العلماء ، وذلك لأن هذه الآية صرحت بان الكتاب مشتمل على المحكم والمتشابه وان في الناس زائغين يريدون اتباع المتشابه للاضلال والفتنة ويريدون التأويل حسبما يهوون ، فاذا لم يكن هناك علماء بالتأويل يعرفون المحكم منه ويصرفون الناس اليه ابتغاء هدايتهم واخراجهم من الضلالة فلا يقي اذن غير ذوي الضلالة في الناس ، فاين حجته البالغة ، واين هدايته للنجدين ، واين من يدل الناس على ضلالة أولئك الزائغة قلوبهم ، واين من يصرفهم عن اتباع أولئك الضالين .

فالآية لا صارف لها عما اشارت اليه من انّ الراسخين في العلم هم من علماء التأويل على أن الكتاب نفسه في غير هذه الآية اخبرنا عن وجود العلماء بالكتاب كما في قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ فالرسول (ص) خبير بجميع ما نزل عليه وصدع به .

وكما في قوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ ، واذا لم يكن سيد الرسل وخاتمهم مرتضى لله تعالى في اظهاره على غيبه فمن المرتضى سواه ، وان الاظهار على غيبه أعلى شأناً وأوسع دائرة من اظهاره على علم الكتاب وحده .

وكما في قوله تعالى : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ ، وما علّق الاحاطة على المشيئة إلا وقد شاء الى غير هذه من آي الكتاب .

نعم انما يكون ذلك الظهور على الغيب والاحاطة بالعلم منحة منه جل لطفه ، فلا يكون ذلك في الانبياء والأوصياء ذاتياً وهذا بخلاف علمه تقدّس علم فان علمه سبحانه عين ذاته ، فالفرق بين العلمين ظاهر فاذا

كان رسولنا الامين (ص) ظهيراً على الغيب ، عليماً بما نزل عليه ، محيطاً بشيء من علمه ، فهل انتهى اليه ذلك ولم يستودعه أحداً من امته ، وبقي ذلك العلم والغيب مكنوناً ، وعلم الكتاب مخزوناً لا يعلمها بشر غيره ، ويبقى أهل الزيغ والضلال على اضلالهم واغوائهم . فاذا كان في عهد الدليل المرشد صاحب الرسالة (ص) منهم فئة موجودة . فبالاحرى أن يكونوا من بعده أكثر نفراً وعدداً . وهل يصح في العقل والدين أن يبقى أرباب الزيغ والضلالة رافعين أعلام الغواية ولا هادي ولا مصلح . ولا عالم بالكتاب ولا مرشد . يدلون الناس على الهدى والرشاد . ويرشدونهم الى ضلالة أئمة الضلال فالخلف عن الرسول (ص) الحامل لعلمه وهداه لا بد منه في الأمة .

نعم ان الجدير بالناصح المصلح الاكبر سيد الرسل (ص) ان يدل الأمة على أولئك الأئمة ادلة الرشاد فانه ادرى العالم بمن يحمل علمه واعرف الناس بمن انتهى اليه الهدى والدلالة ومن ثم قال : مشيراً اليهم :

وعترتي أهل بيتي

فـلا مندوحـة اذن عن هذا الخليفـة الثاني من الثقلين في النيـابـة عن صاحب الرسالة (ص) لأن للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وظـائف جمـة ينهض باعبـائها ، فهـو نبي مشرّع ؛ واداري مـطبق ومنفـذ ، وقـاض يفصـل الخصومـات ، وسياسي يعقـد المعاهـدات ، وقائـد محنك بـاسل ، ومعلم مرشد هاد ، الى غير ذلك مما يحتاج اليه في التبليـغ والتعليم والحكم لأن المسؤولية عليه خاصة من كل ناحية .

هذا في أيام حياته وأما بعد وفـاته فـلا غنى للناس عن ذلـك الحاكم الاداري ، والعـالم المـرشـد ، والقـاضي الفـاضـل ، والقـائـد المحنـك ، والسياسي الخبير ، وما عدا هـذا مما لا بـد منه في الـزعيم الجامـع للناس ، غير ان التشريع من صفات النبوة خاصة ، ولئن أخبر (ص) عن مماثلة علي (ع) له في المنزلة الشاملة لجميع ما أشرنا اليه فقد استثنى النبوة ، ومن ثم لم يستثن شيئاً من العلم في قوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

فاذا كان الخليفة عن الرسول (ص) لا غنى عنه بتاتاً فمن هو الجديـر بـالنيابـة عنه ـ أفمن يهـدي الى الحق أحق أن يتبـع أمـن لا يهـدّي إلا أن يهدى ـ لا ينبغي الريب في ان الهادي بنفسه ، العـالم بذاتـه من غير تعليم

من الناس ، الذي لا يخطىء ولا ينسى ولا يسهو ولا يغفل ، والذي انتهى اليه علم صاحب الرسالة وصفاته هو الحقيق بتلك النيابة ، والجدير بهاتيك الخلافة .

وما اختار الرسول الحكيم أهل بيته للخلافة عنه من قبل نفسه وإنما كان بامر من الله تعالى لعلمه سبحانه بانهم الذين يتقمصون بتلك الصفات ، ويقدرون على النهوض بهاتيك الاعباء ، ومن ثم أشار (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن الهداية بالتمسك بهم ، والضلالة بالمخالفة لهم ، ولو كانوا أمثال الناس في هاتيك الخصال وأنت تعلم حال الناس من الخطأ والصواب ، والنسيان والذكر ، والغفلة والالتفات ، والسهو والانتباه ـ لما كانت لهم الخلافة دون الامة ، ولكان الايصاء اليهم بالامر ترجيحاً بلا مرجح . وهو قبيح عند أرباب العقول ، فكيف يفعله المرسلون .

على أن الكتاب الحكيم محتاج الى المؤول والمفسر لما صرح به نفسه من اشتماله على المحكم والمتشابه ، وأن أرباب الزيغ يتبعون متشابهه دون محكمه ، ولولا ما يخفى على سواد الناس من الفرق بين المحكم والمتشابه لما انتهز أرباب الضلالة الفرصة لفتنة الناس باتباع المتشابه ، فاذا لم يكن هناك مؤولون يكشفون للناس ما خفي عليهم من الفرق بين القسمين لكان لأولئك الزائغين في تأويلهم شبهة يرتطم بها الناس بعضهم ببعض ويخفى على ضعفاء البصائر الجواب عنها ، على أن ذلك التأويل الزائف ما زال متبعاً عند قوم حتى الساعة ، وذلك لأنهم تركوا في تأويل القرآن أهل التأويل الذين نص عليهم الرسول (ص) ومن أين جاءت شبهة القول بالتجسيم ، وشبهة القول بالجبر ، إلا من هاتيك الآيات المتشابهة ، وما كان تصريح أهل البيت ببطلان هاتين الشبهتين وأشباههما وهم المرجع في

التأويل وما كان حكم العقل بفسادهما ، وهو الحكم الفاصل في المخاصمات ينفع في اقناع أولئك القوم في العدول عن هاتين الشبهتين ، وما ذاك إلا لأن لهم من متشابه الكتاب مفزعاً يرجعون اليه ، وإن أوضحه المحكم .

ولو لم ينص الكتاب الاقدس على احتياجه الى المؤولين الراسخ علمهم لكان من صمته دلالة بينة على احتياجه الى المفسر الناطق ، ولو كان في استغناء عن ذلك المؤول الناطق لاجمع الناس على مدلوله ، واطبقت الامة على منطوقه ، ولم تصبح في تأويله شيعاً ومذاهب ، وفرقا وطرائق ، ولما بلغت تلك الفرق الى ما يزيد على السبعين ، وكل فرقة تزعم أن دليلها الكتاب ، وهو الناطق بحجتها ، والمصباح لهدايتها ، وتستشهد على ما تزعم بآيات منه تؤولها حسبما ترغب وتهوى .

فاذا لم يكن للكتاب العزيز مرجع خاص في معرفة تنزيله راسخ العلم في تأويله ، فمن يكون الفيصل بين هذه الفرق المختلفة ، والحكم بين أولئك الخصوم المتنازعة ، ليردها الى الحق المحض ، ويوردها المنهل الصفو ، فانه لا يسوغ ان يكون في الامة ذلك الاختلاف الجم من دون مرجع منصوب لإيضاح الحق ، وكيف يسوغ هذا الكتاب واحد والنبي واحد والشريعة واحدة .

وليس بقاء هاتيك التأويلات الباطلة ، والفرق المتخالفة حتى اليوم وهنا في أولئك المؤولين الراسخ علمهم ، وطعناً فيهم بالتقصير أو القصور عن ازاحة الشبه الفاسدة ، بل ان الناس انفسهم اعرضوا عن أولئك العلماء الهداة وأبوا أن يسمعوا لهم حجة ، ويصغوا منهم الى قول ، وما ذنب أولئك الأدلاء اذا سلك الناس سبيلا غير سبيلهم ، مع دلالة المصلح

الاكبر عليهم ، فما كان تفرق الناس عنهم ، واعتمادهم على آرائهم وأهوائهم ، وان أوقعتهم في مهاوي العطب ، وصيرتهم طرائق قدداً ، إلا بما اختاروه لانفسهم ، وما هم بضائرين إلا أنفسهم .

ولو أهمل الرسول (ص) الاشارة والارشاد الى صاحب التأويل ، لساغ أن يزعم كل ناعق بضلالة أنه الراسخ العلم وصاحب التأويل ، ولقد زعم بعضهم انه ممن انتهى اليه التأويل فوقع وأوقع الناس في المهالك ، لاستقلاله بالتأويل دون أهل التأويل ، ولو كان أولئك المؤولون جميعاً من أهله لما اختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي يكشف عن جهلهم بالحقيقة وبعدهم عن الصواب ، ومع تبين هذه الحال لهم استقاموا على ذلك الاختلاف والمخالفة ، واستمروا على مجانبة ذلك العالم بالتأويل .

قال الرسول (ص) أرشاداً الى الخليفة الثاني : (وعترتي أهل بيتي) فابان (صلوات الله عليه وعلى آله) من هو المعني بالعترة بقوله : أهل بيتي ، فاغنانا بفضل بيانه عن الخوض في المقصود من العترة .

غير أن الامر كله في انه من المقصود باهل البيت ، لأن الناس على اختلاف في ذلك ، فبين من ذهب الى أن أهل البيت نساؤه والهاشميون عامة ، وبين من ذهب الى أنهم بنو هاشم خاصة دون النساء ، وبين من ذهب الى أنهم رهط خاص من بني هاشم ، وهم الذين جللهم بكسائه ، وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[1] وهم علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام ، وهذا الخلاف جار في كل آية ورواية جاء فيها ذكر لاهل البيت (عليهم السلام) ؛ سوى أنه يمكن أن يقال بان الزهراء (عليها السلام) غير مقصودة من أهل البيت ههنا ، وذلك فيما اذا فهمنا

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣ .

من الحديث النص على الخلافة والامامة .

ولعلنا نهتدي الى المعنى من أهل البيت بعينه ، ونعرفه بشخصه دون ما تعمق في الاستنباط ، أو تكلف في سلوك السبيل اليه ، فنقول : إن الرسول (ص) أراد بهذا الحديث أن ينصب علماً لهداية الأمة وأرشادها ، وعالماً يدلها على تأويل الكتاب حسب نزوله ، وإماماً بجمعها على الخير والهدى ، ويصدها عن الشر والضلال ، وأين نساؤه وعامة الهاشميين من هذه الملكات القدسية التي لا تكون إلا للانبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) فاننا نرى النساء وبني هاشم على غير ما يراد من هذه المنزلة العظمى ؛ فلا بد أن يريد من أهل البيت رهطاً لهم الكفاية والقدرة على النهوض بتلك الاعباء الباهظة ، ولا بد أن يكون ذلك الرهط معلوما لديه ولدى الناس ، ولو كان مجهولاً للامة لم تنفع الاشارة الاجمالية اليه ، ولم تخرج الأمة بها من الضلالة . لأن الأمة تختلف عندئذ في تعيين أولئك الرهط .

لا سيما إذا ادعاها خلق كثير منهم . وزعم كل واحد أنه الخلف دون سواه . وقد اختلف الناس وأخذوا يمنة ويسرة مع تلويح الرسول (ص) وتصريحه بذلك الخلف . فكيف لو لم يفعل ، نعم لو لم يفعل لقامت الحجة من الناس عليه ، ولكنه حين فعل قامت الحجة منه عليهم .

ولو كانت اشارة الرسول (ص) الى الخلف من بعده إشارة اجمالية من دون تعيين لنفر خاص لما كان ثمة دافع عن التنافس ، أو رادع عن دعوى العلم بالكتاب ، ومن يكون الحكم عند ذلك بين الخصوم في دعوى العلم والخلافة ، وما المرغم لأولئك الخصوم على الخضوع لشخص بعينه من دون نص وتعيين من صاحب الرسالة (ص) فان الناس جاهروا بالجحد

لأولئك المنصوص عليهم مع تظافر النصوص ، وتصديق آثارهم لها ، فكيف لو أهمل الرسول أو أجمل ، أو لم يكن أثر يشفع للخبر ، .

إن الناس لا بد أن تعرف في عهد الرسول (ص) من هم أهل البيت ، ولا بدّ أن يكون الحديث نفسه في عهد الرسول وهذا العهد دالاً عليهم دلالة وأضحة ، ومرشداً اليهم ارشاداً لا لبس فيه ولا تعمية ، وإلا لما صلح هذا الحديث لان يكون من المصلح الاكبر حجة على الأمة ، يقطع منهم العذر والحجة .

إن الحديث الشريف نفسه حين عبر عن العترة بالثقل وقرنه بالكتاب دلنا على أن هذا الخليفة الثاني رفيع الشأن ، ثقيل الميزان ، عليم بما في القرآن ، راسخ العلم لا يعتري علمه شك ولا ارتياب ، معصوم من الخطايا والذنوب ، منزه عن النقائص والعيوب ، به الهدى من الضلال ، والانتشال من الجهل ، شأن عديله وقرينه الكتاب ، كما عرفته وستعرفه إن شاء الله تعالى ، وأين من هذه الصفات نساؤه وعامة الهاشميين .

ولو كان هذا الخليفة الثاني وعديل القرآن لا يتصف بجميع تلك الصفات ، أو يتصف بها طوراً وطوراً ، لما تركه الرسول خليفة عنه هادياً من الضلالة وقريناً للكتاب الحاوي لهاتيك الخصال .

أو كان غير قدير على تأدية وظائف الرسول التي لا بد منها للخليفة ، والتي لا غنى للناس عنها لما كانت الهداية به دائماً والخروج به من الضلالة أبداً ، كما وصفه بذلك الرسول الصادق الامين ، وكما هو شأن عديله الكتاب .

ومن يا ترى من بيت الرسالة يتصف بتلك الملكة القدسية التي لا تكون إلا في افذاذ من البشر إختارهم الخبير تعالى للرسالة أو الوصاية ، أترى يصلح لها غير المرتضى وولديه (عليهم السلام) .

إن كانت تلك الصفات مجتمعة في أحد فلا تعدو الوصي والسبطين وإن كانت العصمة بعد الرسول موجودة في بشر فلا تتخطى علياً والحسنين ، ولئن فاتت هذه السجايا التي لا بد منها في الوجود الوصي وابنيه فمن يا ترى يكون لها من أهل البيت ، ومن هم أعلم منهم وادرى ، وأرشد واهدى ، بل من هو على شاكلتهم يجاريهم في الفضائل ، ويباريهم في العلوم والمعارف ، ويصلح للعصمة لو كانت ثمة عصمة .

إن فاتت هذه الصفات أبا الحسنين والحسنين فقد جاز على المرشد الاكبر (ص) أن يرشد الى معدوم الوجود ، أو يشير الى مستحيله ، فيكلف الناس معرفة ما لا يسعون ، ويطلب منهم ما لا يجدون .

فأهل البيت إذن في عهد صاحب الرسالة (ص) الذين يقصدهم هذا الحديث الشريف هم علي والسبطان فحسب ، حصراً وجدانياً ، وحكماً عقلياً ؛ ليس فيه ارتياب . ولا دونه حجاب . وهذا الحصر والحكم يرغمان المرء على الاعتراف بهذه الحقيقة في كل عهد وزمن . فكما فهم الناس في عهد خاتم الانبياء (ص) أن المراد من أهل البيت المرتضى ونجلاه نفهم هذا منه اليوم ، ما دام الهدف الحق . والقصد معرفة الثقل الثاني .

ولا أحسب أن هذا المفهوم من الحديث يخفي على أحد بعد الروية والبصيرة ، والتجرد عن المرتكزات والتقليد في العقيدة .

ولو كان في بني هاشم من يبلغ شأن أمير المؤمنين وولديه في الفضائل والمعارف والعلوم ، لظهر أمره ، وبان خبره ، وأرشدتنا اليه الاخبار والآثار.هذا ما استفدناه من الحديث نفسه . ولو أردنا أن نؤيد مدلوله بالآيات والروايات لكان لنا منهما متسع . ولكننا أردنا أن نكون نحن والحديث من دون أن نستعرض سواه في هذا المفاد .

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً

كلمة ما أسلس بيانها ، وأوضح مفادها ، ليس في تركيبها تعقيد ، ولا في مدلولها غموض .

دلتنا على أن الدليل بعد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) الى الهدى والخروج من دياجر الضلالة كما كان في عهده . هو التمسك بالثقلين معاً .

وهذا الارشاد من رسول الرحمة والرأفة يعم الامة جميعاً ، ويلفت صحابته الى أن الاستمرار على الهداية لا يكفي فيه ما استقوه من ينبوعه دون أن يتمسكوا بعده بهذين الخليفتين وينبه الاجيال الآتية من المسلمة الى أن الاسلام لا يكون مناراً للهدى إلا بالتمسك بالثقلين ، فانهما رائد الحق ، وسلم النجاة وأي أمرىء لا يحتاج الى رائد في الوصول الى الحق والصدود عن الباطل ، ومن يؤمنه لو سلك السبيل وحده من غير دليل ورائد ـ والطريق شاسع ـ ان يقع في فلوات جرد حيث لا ماء ولا كلأ ، وهناك العطب ، وأي بصير يستغني عن السلم في الرقي الى معارج الحق الرفيعة ، ومن يؤمنه ـ لو ارتقى بدونه ـ أن تكون المعارج ملتوية فلا يجد مستلماً ليديه وموطئاً لرجيله فتزل به القدم ، فالى أين ـ يا ترى ـ المهوى والمنقلب .

وهذه الكلمة كما أرشدتنا بدلالتها الى أن الهدي بعد الرسول (ص) بخليفتيه ، أرشدتنا الى استمرار ذلك الهدى ما دام إنسان ، وما دام كتاب وعترة .

ونستفيد التأييد الدائم لعدم الضلالة بهما من ـ لن ـ الدالـة على النفي لنؤبد ، ومن التصريح بالتأبيد بقوله ـ أبداً ـ فالهدى الابدي الـذي لا يحول ولا يزول هو بالتمسك بهـذين الثقلين ، وبعد أن دلنـا نبي الرحمـة والهدى على تلك الهداية كان لزاما علي أن أتبع دلالته ، فلا أحيـد عن الثقلين قيد انملة فـأضـل وأهلك ، ولست مسؤولاً بعـد هـذا التعيـين منـه (ص) عن غيرهما من الكتب والناس ، ما لم تكن قد اخذت عنهما متفقين ، واستنـدت اليهما مجتمعين ، فانه ادرى بمن يصلح للدلالة بعـده ، ولا يهمني بعد هـذه الوصية منه ما قيل ومن قال ، وهذا الموقف هو الجدير بكل مسلم أن يقفـه مع الثقلين بعد ذلك النصح والارشاد من رسول الاصلاح (ص) .

غير ان المهم أن نعرف ما هو التمسـك بالثقلين ، فـان التمسك هـو الغاية التي ينشدها الرسول (ص) من هذا الحديث كله .

إن حقيقة التمسك هي الاعتصـام ، وليس الغرض منـه هنا القبض باليد ، بل التمسك بالشيء إنما هـو حسب ما يليق بـه ويتفق وشأنـه ، ولما كـان الكتاب ـ كـما علمت ـ مصدر الشـريعة المحمـدية ، وقـاعـدة النـظم والاحكام ، وينبوع الفضائل والاخلاق ، ومفتاح العبر والعظات ، وكانت العترة الكتاب الناطق ، الكاشف عن أسـرار الكتاب الصـامت ، والدليـل على عظمة الاله الفـاطر والمـرشد الى واجب العبـودية إزاء تلك العـظمة ، والمـوئل في حيـاتنا الـدينية والسيـاسية . كـان التمسك بـالثقلين الاخذ بمـا أرشدا اليه ، ودلا عليـه ، واتباع مـا أمرا بـه ونهياً عنـه ، فان خـالف المرء سيرهما إجتيازاً ، أو تخلف عنهما نكوصاً ، اعتصاما برأيه أو اتباعاً لغيـره . لم يكن من المتمسكين بل كان من المنحرفين الزائغين .

هل هناك ثقل ثالث

هنـاك أمر لا بـد لنا من النـظر فيه والبحث عنـه . بحث مستهـدف للحق ، متطلب للحقيقة ، مصباحه الذي يسير على ضوئـه ـ الدليـل ـ وبه تستنـير غياهب الشبـه والشكـوك ، وأي نبـراس يجلو لنـا ديـاجـر الاوهـام والهواجس أضوأ منه ، وهو أنه هل هناك ثقل ثالث يلزمنا صحيح البرهـان بالتمسك بـه والقبض عليه ، بحيث يكـون ذلك الثقـل على مثـل الكتاب والعتـرة في الخلافـة والاعتصام والعلم ، فمن تمسـك بـه اتخـذ الى الهـدى سبيلاً ، والى الفرار عن الضلال والردى طريقاً .

زعم فئة من المسلمين أن لدينا ثقـلا ثالثـاً يجب التمسك بـه والاتباع له . ألا وهوـ الاصحاب ـ ورووا في ذلك حـديثاً عن نبينـا المرشـد الاكبر (ص) زاعمين أنه قال : أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم .

ولا بد لنا من تمحيص هذا الحديث لنكون على بصيـرة من أمره ومن موقفنا إزاء الاصحـاب ، فانـه إن صح سنـده وتمت دلالته أوقعنـا في مأزق ضيق لا نجد ثغرة فيها المخرج من لوازمه ، ولعلنـا نهتدي الى التـوفيق بينه وبين حديث الثقلين .

لا أريد أن أتحدث اليك عن سند هذا الحديث وحاله فان الحديث عنه ذو شجون ، وانما ابحث عن الدلالة فان بها غنى وقناعة ، ويضطرني الحال الى أن أشير الى احوال بعض الاصحاب ، وانه هل لنا سبيل الى أن نجعلهم قدوة كالثقلين .

إن كلمة الاصحاب اطلقوها على من رأى النبي (ص) وسمع حديثه ، سواء أكان مهاجرياً أو أنصارياً ، وأنت على خبر بان الرسول (ص) في بدء الاسلام أراد أن يبث روح الاسلام في الناس ، وينشر تعاليمه الحية ، والناس لا تتقبلها ولا تقبل عليها إذا جاءتهم دفعة واحدة ، فان الحواجز دونها جمة ، فمن حسد الى بغضاء الى عداء الى جهل الى عصبية لدين الآباء الى ما شاكل هذه ؛ وأنت ترى أن في البعض من هذه حوائل دون الرضوخ للحق وإن عرفته النفس وأيقنت به ، ومن ثم كان تبليغه للاحكام والتعاليم نجوما شأن القرآن ونزوله ، لئلا تنفر الناس من هجومها عليهم مرة وأحدة ، ويروها عبئاً ثقيلاً لا يطاق حمله ، وتلك سياسة إلهية كانت أحد العوامل لنجاح الدعوة الاسلامية ، جرى فيها الرسول على سنة التدرج في النظام الكوني وسنة التطور في البشر ولا غرابة فهذا شأن الله تعالى في خلقه .

وكان من سياسته الرشيدة أن تقبل من كثير من الناس الاسلام ظاهراً وإن أبطنوا الكفر ، فان طرد أمثال هؤلاء عن حظيرته تكثير لاعدائه وتقليل من أعوانه ، على أن المرجو من مثل هؤلاء أن يدخل الاسلام في قلوبهم ولو بعد حين ، كما تظاهروا به وساروا عليه ، وقد أخبر عن سرائر بعضهم القرآن العزيز بقوله : ﴿ **ومن أهل المدينة مردوا على النفاق** ﴾ ، فوجود المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام في أصحاب النبي

(ص) لا ارتياب فيه .

وما زالت منهم فئة مندسين في المسلمين حتى بعد عهد الرسول (ص) وقد خفيت حالهم على كثير من الناس في أيامهم وأيامه والوحي ينزل عليه ، فكيف بعد ذلك العهد بقرون ، وإذا علم أمرهم مثل سلمان وحذيفة وعمار وأضرابهم فليس كل الناس لديهم معرفة سرائرهم وما انطوت عليه ضمائرهم .

فاذا كان في المسلمين ذلك اليوم من أبطن الكفر فكيف نقتدي بكل فرد منهم دون أن نثق بايمانه ، ونعرف صحة اسلامه ، وما تنفعه تلك الظاهرة إلا في ادخاله في ربقة الاسلام وعدّة من المسلمين في الاحكام .

إن المنافق كافر وهو يود أن يرجع الناس الى الكفر ، ويسعى له جهده لو أمكنته الفرص ، ومن الذي دحرج للرسول (ص) الدباب ليلة العقبة ، ومن الذي دعاه الى الصلاة في مسجدهم ليقتلوه ، ومن الذي قال : ليخرجن الاعز منها الاذل ، الى غير هذا من سعي المنافقين وكيدهم للاسلام ، هذا والنبي حي والوحي يأتيه ، فكيف حالهم مع الاسلام من بعده ، أيصح للمسلم أن يقتدي بمثل هؤلاء ويجعلهم أئمة في الهداية وكيف يستضاء بالمنافق وهو ظلام حالك لا نجم ثاقب .

وزد على هذا أن كثيراً من الصحابة كذبوا على الرسول (ص) ونسبوا اليه أحاديث وأقوالا لم ينبس منها ببنت شفة . وأعمالا كان بريئاً منها ، وقد أخبر الرسول (ص) نفسه انه سوف يكثر عليه الكذابون ، وأوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار ، وهل يأمرنا الرسول (ص) وهو الناصح الامين أن تتبع الكذبة الخونة أهل النار ، وهل سبق في شريعة سماوية أن أئمتها

الهداة كانوا من أهل الضلال والنار والكذب على الله وعلى صاحب الشريعة ، وأحسبك تراه مستحيلا عقلاً ووجداناً ، ولا أدري كيف تستنكر من الشرائع السالفة ما ترتضيه لشريعتك الغراء وهي أفضلها نبياً وأمة .

وهناك شأن يحجم القلم عن التبسط فيه ، وهو ما وقع من الخلاف بين الاصحاب والنبي (ص) بعد لم يدرج في أكفانه ، والسقيفة والخلاف في الخلافة أول حدث جلل في الاسلام وبين الاصحاب ، بايع فئة من الصحابة أبا بكر وأنكمش آخرون . فبمن الاقتداء من هؤلاء . وما وجه تقديم بعضهم على بعض في القدوة .

ودع عنك حادث السقيفة العظيم ومخالفة زمرة من الاصحاب لابي بكر وجماعته . وبلوغ سبيل الخلاف بين الفئتين الزبى واستمراره الى اليوم . وانظر في الحوادث بعد ذلك اليوم . وأهمها حادثة الشورى واختلاف الناس في الخليفة واستسلام بعضهم قهراً لمبايعة عثمان . وما انقضت برهة طويلة من أيامه حتى أنكروا الكثير من اعماله ، فوجدوها فرصة للتأليب عليه واظهار ما ابطنوه من السخط على بيعته . وفي طليعة المؤلبين والمتآمرين عليه عائشة وصاحباها طلحة والزبير حتى أن ناساً من الصحابة نسب اليهم مباشرة قتله بعد أن اجمعوا على خلعه فقل لي بمن نقتدي فنهتدي من هاتين الفئتين المتخالفتين . والحزبين المتحاربين ، أبالقاتل أم بالمقتول ، وبالـلاعن أم بالملعون ، أم بكليهما ، وهل يمكن الاقتداء بهما معاً وهما على حرب ، أم نفحص عن فئة ثالثة قد اعتزلت الفريقين لنجعلها القدوة بعد أن نعرض عن تبنك الفئتين ، وهل في ذلك اليوم حزب منحاد ، أم ماذا نصنع . . ؟

ولا تنس الايام والتأريخ أمر عثمان ، وما كان من شأن حصاره

وقتله ، فقد كفره الاصحاب وقتلوه بعد خلعه وقد كـان بزعم الكثـير منهم أنه أمامهم قبل هذا اليوم ، فبأي اليـومين نقتـدي به ، وعـلى أي الرأيـين منهم نعمل .

واليك منهم ما كان مع أمـير المؤمنين المـرتضى فقد أجمـع الناس عـلى بيعته ثم نكث الزبير وطلحة واخرجا معهما عائشة الى البصرة فكانت حادثة الجمـل وانهراق تلك الـدمــاء الكثيـرة من المسلمـين ، فمن المسؤول عن هاتيك الدماء المسفوكة ، ومن الامام المقتدي به من ذلك العسكرين ، ولا محالة أن أحد الفريقين عات ظلوم ، وفي عنقه ذلك الحدث الكبير والـدماء المـراقـة ، وهـل يجـوز أن يكـون الـظالم إمـامـاً نقتـدي بـه ؛ والله تعــالى يقـول : ﴿لا ينال عهـدي الظالمـين﴾[1] وهل تكـون هدايـة بمن اعتدى فـأضل الناس واراق الدماء طلباً للرياسة والـزعامـة ؛ من دون أن يفعل ذلـك عن شبهة أو دفاعاً عن دين أو حرمة أو حريم .

والخطب الافضع ما كان من معاوية وابن العاص وحثالـة من الناس نسبوا انفسهـم الى الصحبة فخاضوا بحوراً من الدماء يوم صفين ، افنقتدي بأمير المؤمنين أم باولئك القاسطين وهل يصح لنا إذا كان كل صحـابي قدوة أن نحارب المرتضى اقتداءاً بمعاوية ، ونحن فوق ذلك مهتدون ومعـذورون عند الله تعالى لأن قدوتنا من الاصحاب .

ولا تنس قارعة الطف الموجعة ، فقد كـان في جيش ابن زياد سمـرة ابن جندب وقد اعتبره القوم من الصحابة ، أفيجوز لنا أن نحـارب الحسين ومن بحيـاله من الصحـابة اقتـداءاً بسمرة ، ومن الـذي أخرج من عمـوم الحـديث سمرة ومعـاوية وأمثـالهما ، وطلحـة والزبـير وأشياعهـما ، ومروان والوليد بن عقبة وأشباههما ، إن كان الحـديث صحيحاً ، يـأمر بـاتباع كـل

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

من له صحبة ، وما الفارق بين الهادي والضال منهم لندفع الضال ونركن الى الهاد وكل واحد منهم له فئة يركنون اليه ، ويصوبون أعماله وآراءه .

إنك لو سبرت سيرة الاصحاب بعد الرسول (ص) الى يوم انقراضهم لما وجدت عصراً لم تتخالف فيه الصحابة ، بل ولم تتحارب ويكفر بعضهم بعضا ، ودونك أخبارهم فاسبرها ، وآثارهم فانظرها .

وما كان الخلاف بينهم في الزعامة والامامة فحسب ، بل اختلفوا في الرواية والفتيا عنه (ص) وفي السيرة والاخلاق وفي طرق الهداية والارشاد ، وفيما سوى هذا ، وهاتيك أحوالهم تقرئك أياها كتب السيرة والترجمة والتأريخ .

ولو ضعف إيماننا بهاتيك الكتب لكفتنا عن سبر أحوالهم آية الانقلاب ، وأحاديث الذود عن الحوض ، وأحاديث الافتراق ، وما ماثلها ، ومن كانت تلك حاله كيف يصلح للهدى والرشد .

هذا إذا نظرنا الى الاصحاب وسيرتهم فحسب ، وأما لو نظرنا الى مواقفهم مع أهل البيت . الذين أذهب الله عنهم الرجس وأمرنا بمودتهم والتمسك بهم . لأيقنا بان القوم قد أنستهم الاضغان والاحقاد ما لأهل البيت من حق وما لهم على الأمة من فرض . فاين آية التطهير وأين آية المودة وأين سورة هل أتى . وأين حديث السفينة . وأين حديث باب حطة وأين حديث الثقلين . وأين حديث حربهم حربي وحربي حرب الله ، وسلمهم سلمي وسلمي سلم الله وأين . . . وأين من ذلك العداء الذي نصبوه لهم ، والحرب التي شنوها عليهم فكأن هاتيك الآيات ما نزلت وهذه الاحاديث ما وردت إلا لمقاومة أهل البيت وحربهم والخلاف عليهم .

وما أصبح مذهب أهل البيت مستطيلا إلا بنفسه يخالفه الكثير من

مذاهب الصحابة وآرائهم وجرى الخلف على سيرة أولئك السلف فالناس الذين أمرهم الرسول بمتابعة الثقلين ساروا حتى الساعة على المخالفة والمعارضة .

بلى كان زمرة من الاصحاب لا يشك بايمانهم وهداهم وأجتهادهم في النصح والارشاد أمثال سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وابن مسعود وحذيفة وخزيمة وجابر وأبي أيوب وكثير سواهم ساروا على خطتهم ، ولا يرتاب ذو مسكة بان الاقتداء بمثل هؤلاء رشد واهتداء ، ولكن هؤلاء لم يقفوا مع أهل البيت موقف حرب وعداء ، ولا موقف انعزال وحياد ، وانما وقفوا معهم موقف اتباع وتمسك ، فهم تبع للثقلين وأنصار للخليفتين ، فلا يكون الاقتداء بهم انحيازاً الى ثقل ثالث غير الكتاب والعترة .

وأين هذا من الاقتداء بجميع الاصحاب وإن كان المقتدي به من أهل النفاق والارتياب أو الكذب والخيانة ، فمن هٰهنا يتضح لك أنه لا يمكن الأخذ بعموم هذا الحديث لكثرة من خرج عن عمومه .

ولو تسالمنا على صحة هذا الحديث وأردنا أن نأخذ بعمومه فهل يريد النبي (ص) به أن يجعل من الصحابة ثقلا ثالثاً في قبال الكتاب والعترة وكيف ينصب للامة اعلاماً تتضارب ، وأئمة تتحارب ، وكل واحد منها يحارب الآخر خدمة للدين ونصرة للحق ، بل انما يريد أن يجعل من الصحابة قدوة صالحة للناس لانهم المثل الاعلى في الأخلاق والفضيلة ، ونحن لا نرتاب بوجود من يصلح منهم لتلك المكانة السامية ، ولكنها في الصالح لا الطالح ، وفي المؤمن لا المنافق ، وقد نصب لنا رسول الله (ص) إماماً لا يشك كل مسلم بصلاحه وهداه ، هو الكتاب والعترة وهما المحك للتمييز بين الاصحاب ، فمن سار على نهجهما القويم ، وأخذ عنهما العلم والتعليم ، فذلك القدوة المتبع دون سواه ممن اختلف معهما أو خالفهما .

وجملة القول أن الحديث الاول يجعل الثقلين خليفتيه بعده ويجعل التمسك بهما وسيلة الهداية ، ومنه نعلم أن الاصحاب إن درجوا على سنن الثقلين فهم أهل للاتباع والاقتداء لا لأنهم ثقل ثالث ، بل لانهم تمسكوا بالثقلين امتثالاً لأمر الرسول الناصح الأمين (ص) . وأما إن خالفوا سيرهما ، واتبعوا غير نهجهما فلا سبيل الى اتباعهم ومجانبة الثقلين ، إذ ليس لنا برهان على الاقتداء بكل صحابي على أي حال وإن خالف الكتاب وأهل البيت ولا يمكن الاخذ بعموم حديث الاصحاب ـ وإن صح ـ إذا كان يرجع بنا القهقرى عن أتباع خطى الكتاب والعترة ، بل لا بد لنا من طرحه لمخالفته لما أنعقد اجماع أهل الاسلام على هدايته وهو الكتاب والعترة ، أو حمله على الصحابة الابرار الذين جعلوا الثقلين لهم قدوة وإماماً .

ويجوز ـ إن صح الحديث ـ أن يراد من الاصحاب أهل البيت خاصة ، لأن أهل البيت من الاصحاب ، وليس الاصحاب كلهم من أهل البيت ، وليس في هذه الاستفادة بأس بعد أن كان الأخذ بعموم هذا الحديث مستحيلاً لا يمكن المصير اليه ، وحمل هذا الحديث ـ إن صح ـ على بررة الصحابة أو على أهل البيت أجمل من طرحه والقائه .

فلا بدع إذن لو قلنا : أنه ليس هناك غير الثقلين قدوة ومتبع ، وكل من على وجه البسيطة يجب عليه التمسك بهما والاقتداء بهديهما ، ولا فرق في ذلك بين الاصحاب وغيرهم من معتنقي دين الاسلام .

ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

إن رسالة خاتم الانبياء (عليه وعلى آله السلام) باقية مدى الزمن ، مستديمة عمر الدنيا ، فكتابه الكريم لا محالة باق ببقاء الدهر وبقاء البشر ، لا تبلي جدته تطاول السنين ، ولا ينسخه كتاب لانه معجزة رسالته الخالدة ، وحجته على العالم كله ، ومن أين نعرف صدق نبوته اليوم لولا الكتاب .

ولما كان الكتاب صامتاً ، وكان أساس الشريعة الباقية وتبياناً لكل شيء وفيه ما يحتاج الى التأويل والابانة ، وجب أن يكون له قرين يصحبه طيلة بقائه ليكون ناطقاً بتأويله ، كاشفاً عن غوامضه ، فاصلا بين المتشابه والمحكم من آياته ؛ مميزاً بين الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ، وما سوى ذلك مما لا يستغني عن المؤول الناطق .

وهل يا ترى يصح في ذلك المفسر أن يتأول برأيه دون أن يكون عالماً بالتنزيل كما نزل به جبرئيل ، أو يكون عالماً ببعض وجاهل ببعض ، فلا بد إذن من أن يكون عالماً بجميع تأويله على حسب تنزيله ، لئلا يتورط في الهلكة إذا تأول بشيء يخالف نزوله .

وهل يا ترى يجوز فيه أن يسهو وينسى ويخطىء ويزل ؛ فيقع ويوقع الناس في التحريف والتصحيف ومخالفة التنزيل ، فاذن لا مندوحة من أن يكون ذلك المؤول العالم بجميع التنزيل معصوماً من هذه العوارض التي لا يسلم منها عامة البشر .

فبقاء الرسالة الاحمدية فاض ببقاء كتابه ، وخلود الكتاب كفيل بوجود قرينه واستدامة وجوده ، ذلك الوجود المقترن بهاتيك الصفات التي تكشف عن ملكته القدسية ، والتي تجعل منه انساناً كاملاً بريئاً من النقص ، كما هو شأن قرينه فبقاء الثقلين الى يوم القيامة لا محيد عنه ما دامت رسالة المصطفى (ص) باقية وما دامت رحمة للعالمين وما دام زمان ، وما بقي إنسان ، وإن لم يصرح الرسول (ص) نفسه بهذا البقاء والخلود ، فكيف وهو يهتف بذلك مصرحاً به دون ما تورية أو كناية .

وما أشرنا اليه يجب أن يعرفه كل أحد من دون غور وتعمق في الفكر ، فهذا ابن حجر في الصواعق يقول بعد الآية الرابعة مما نزل في فضل أهل البيت : إن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بها من أهل البيت ، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة .

هذا ما قاله ابن حجر ، وما يجب أن يقوله غيره بدلالة هذا الحديث الشريف ، وحكم العقل السليم ، ولا نريد أن نستنطق غيره من الاحاديث وإن عاضدت هذا الحديث في مفاده لأن الهدف من هذا البيان بيان ما يفيده هذا الحديث دون سواه .

وهذه المقارنة بين الثقلين ودوامهما على هذه المقارنة الى قيام الساعة ينبهنا الى أمور جليلة ، نشير اليها في العناوين الآتية :ـ

من هم أهل البيت الباقون الى الحشر

دلنا صدر هذا الحديث الشريف ـ كما سبق بيانه ـ على أن المقصود من أهل البيت على عهد صاحب الرسالة هو المرتضى والسبطان خاصة ، ولكن قوله (ص) وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض دل على أن العترة باقية ما بقي الدهر وبقيت رسالته وبقي كتابه ، فمن يا ترى المعني من العترة .

إن الهاشميين بعد السبطين كثيرون ولا سيما من كان من ذريتهما ، فهل اراد الرسول (ص) بأهل البيت جميع بني هاشم ، أو خصوص العلويين ، أو فئة من العلويين خاصة .

إن كثيراً من الهاشميين والعلويين محتاجون الى التعليم والارشاد وكيف يكون المحتاج الى هذا قريناً للقرآن الذي إشتمل على تبيان كل شيء ، القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الباقي معجزة مدى الأبد فقرين القرآن لا بد أن يكون على شاكلته وناطقاً بما حواه من بيان فاذن لا بد من أن يكون تبشير النذير عنى فئة خاصة من أهله ، عندهم علم الكتاب ، وهدى الأمة ، لا سيما وقد جاء على بعض الروايات في ذيل هذا الحديث قوله : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ،

وأنت ترى أن بني هاشم كـالناس من البـدء حتى الساعـة في احتياجهم الى التعليم والهداية ، وليسوا باعلم من الناس في علم الكتاب ولا في سواه .

فإذا كان الرسول (ص) يقصـد من أهل البيت رهـطاً خاصـاً ، فهل قصدأناساً تجهل الأمة أعيانهم ، ولا تهتـدي اليهم باشخـاصهم ، أترى إن الله والـرسول يكلفـان الأمة شـططا ، ويحملانها عـلى معرفـة من لا تهتدي اليه ، من أين للامـة الوصـول الى مجهول الاسم والسمـة ، مجهول المكـان والجهة لأن بني هاشم انتشـروا في الارض فلا يخلو منهم قـطر ومصر ، ولا صقع وناحية .

فـلا بد أن يكـون الرسـول أراد رهطاً من قـومه معـروفـة أسمـاؤهم وسمـاتهم معلومة أوطـانهم وجهاتهم لا ينكـرهم الناس بعـد التعـريف ولا يخفى حالهم بعد الاشارة والتوصيف .

فمن هـو المتقمص بتلك الصفات ، والمعـروفة حـاله عنـد الناس ، غيـر التسعة من أولاد الحسـين ، الأئمة المعـروفين من عـلي بن الحسين الى المهدي بن الحسن العسكري الغائب المنتظر (عليهم السلام جميعاً) .

إن هؤلاء التسعـة بعد المـرتضى والحسنـين ينحصر فيهم القصـد من أهل البيت انحصاراً وجدانياً وحكماً عقلياً ، كما كان في آبائهم ، وذلك لأن الرسول إنما أشار الى فئة موجودة متسلسلة يدفعهـا الواحـد منهم الى الآخر لئلا يخلو عصر من الثقل الثاني ، وتلك الفئة عالمة بالكتاب لئلا يخلو عصره من قرين له منهم عالم به ، ولئـلا تخلو الامة يـوماً مـا من هاد لا يضـل من تمسك به ، معصومة من الخـطأ والزلـل ، نزيهـة عن النقص والعيب بريئـة من الاهواء الضالة ، لئلا يحصل من أقوالهم وأعمالهم فساد ، وقـد أرادهم الله للصـلاح ، وليس في بني هاشم رهط اشتملوا عـلى هذه الصفـات غـير

هؤلاء التسعة .

وهؤلاء هم الذين صرحت الاحاديث عن الرسول (ص) باسمائهم وسماتهم ، ولو عنى الرسول باهل البيت أحداً غيرهم لبان أثره ، وانتشر خبره ، وظهر أمره ، ولوجب على الرسول النص عليه والاعلام عنه ، وما ادعى النص عليه بالاسم والصفة غيرهم من العلويين ولو ادعى ذلك المقام أحد من الهاشميين سواهم فلا تقوم له الحجة ، ولا يجب التصديق بدعواه ، من دون أن يأتي عليه نص ، أو يكون لعلمه ظهور ، ولفضائله ميزة ، وهل شاهدت الآمة لغيرهم من الهاشميين من بعد الحسنين الى اليوم سلسلة كان لها من الفضائل والمعارف والعلوم ما كان لهم ، وهل كان لغيرهم من الآثار في التفسير والعلم والاخلاق ما ماثل آثارهم .

فلا ريب إذن بعد إمعان الفكر والروية في أن هذا الحديث الشريف لا يريد غير الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت ، وهم الذين دلت الاخبار والآثار على ما لهم من علم وفضل ومعرفة وصلاح لا يدانيهم فيها بشر بعد الرسول (ص) وهم الذين ورثوا العلم والفضيلة عن الرسول عن الوحي عن الفيض الاعلى ، وهم الذين بقيت سلسلتهم محفوظة بوجود المهدي المنتظر ، وهم الذين يصدق عليهم الى اليوم انهم العترة قرناء الكتاب ، وان الثقلين بوجود غائبهم ما زالا باقيين .

هذا ما أهتديت اليه من معنى الحديث أمليه عليك ، وأحسب أنه جلي لا غبار عليه .

المهدي الغائب من أهل البيت

أفصح هذا الحديث بان في كل عصر عالما بالكتاب من أهل البيت حسبما نزل به الروح الامين من رب العالمين ، وصدع به رسول الرحمة والهدى ، فمن هو عالمهم اليوم بالكتاب .

لا بد أن يكون ذلك العالم المنصوب للتأويل الصحيح معلوم الاسم والنسب والنعت ، لأنه مرجع العالم كله في تفسير الكتاب وهدى الأمة ، وكيف ينصب الرسول الناصح لامته عاماً لهم في الهداية وتأويل الكتاب ، ويخفي عليهم شمائله وحليته ، وكيف يفرضه الله تعالى حجة عليهم ويسألهم الرسول (ص) عن معرفته والتمسك به ، ولم يجعلا إمارة على تعيينه ، ودلالة على تشخيصه إن الله لا يكلف نفساً غير ما وسعث ، ولا يسأل الرسول الأمة عماً لا يعلمون وعما لا يقدرون أن يعلموه عادة ، فاذا جاز أن يكلف الله العباد تصديق نبي مجهول في ذاته وصفاته جاز أن يكلفهم معرفة إمام هاد مجهول الخصال والذات . ولا يكفي أن يكون ذلك العالم معلوماً فحسب ، بل لا بد أن يكون أيضاً حياً موجوداً ، لأن الناس في كل عصر تحتاج الى المرجع في التأويل والموئل في الهداية لتستعلم منه حاجتها ويحل ما أشكل عليها ، لأن الحوادث المشكلة المحتاجة الى الحل

وازاحة الشبهة تتجدد في كل زمان ، كما تحتاج في كل وقت الى المرشد الهادي ولو رجعت الناس الى العالم المنصوب للتأويل والهدى لحملها على المحجة البيضاء والصراط السوي ، ولم يتركها تحيد عن الشريعة الناطق بها الكتاب والسنة قيد أنملة .

ولا يغني الرجوع الى الميت في كل شيء من التأويل إذ قد يأتي في الحوادث من الشبه ما لم يسبق لها ذكر أو نظير ومن الاحكام ما لم يشر اليه الأئمة السابقون ، ومن شبه الأمم المخالفة ما لا حل له من الماضين ، فمن يكون المرجع في ذلك وفي هدى الناس إن زاغت إذا لم يكن الخلف حياً .

ولو اغنى الماضون من الهداية لامعنى ذلك في الانبياء ، أو أغنى منهم أهل الشرائع خاصة ، ولماذا بلغوا مائة واربعة وعشرين ألفاً ، ولماذا فرض الرسول إماماً لكل زمان وأوجب على الأمة معرفته فقال (ص) من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، ففهمنا من هذا الحديث أن لكل زمان إماماً كما فهمنا ذلك من الكتاب الكريم حيث قال : يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، لأن الخطاب لم يكن لقوم بخصوصهم فاذا عم أهل الاسلام كافة ، وأبناء الاجيال عامة ، عرفنا أن لكل زمان والياً يسألنا الله عن طاعته كما يسألنا عن طاعة نفسه تعالى وطاعة رسوله (ص) ، فكيف ترى شأن أولئك من الهدى والرشد والصلاح عندما قرن طاعتهم بطاعته وطاعة الرسول (ص) .

فاذا وجب أن يكون المؤول الهادي وقرين الكتاب من العترة حياً موجوداً في هذا العصر ، ومعلوماً لدى الأمة كافة في ذاته وصفاته فمن هو إذا لم يكن ابن الحسن العسكري ، فانه لا يوجد اليوم منهم أحد معلوم الذات والصفات ، يحمل تلك الملكة القدسية وذلك العلم الالهي الجم

ويستطيع أن يقود الأمة الى الهدى ويحملها على اتباع الكتاب وتأويله كما جاء به الرسول (ص) فاذا لم يكن ذلك ابن الحسن (ع) فقد خلت الارض اليوم من الثقل الثاني ، وخلوّها منه مستحيل عقلاً ونقلا .

فهذا الحديث يرغمنا على الاعتقاد بوجود عالم منهم بالكتاب يجب على الامة معرفته للتمسك به والانقياد لأوامره ونواهيه ، فاذا لم يكن ظاهراً مشهوراً ، أفلا بد أن يكون غائباً مستوراً ، نعم يجب أن يكون معلوم الاسم والنسب والصفة ، وليس اليوم فيهم أحد كذلك غيره فاذا لم يكن أحد في العترة سواه على تلك النعوت فلا مندوحة من القول بان المهدي مولود موجود ، وأنه هو إمام الأمة وعالمها ، وأحد العترة التي يجب التمسك بها ، والجامع لصفات الكمال كلها في هذا العصر ، المنزه عن خصال النقص جميعها ؛ المعبر عنه بالانسان الكامل .

ولو كان غير مولود ، أو موجوداً غير معلوم لكان الحديث متخلفاً عن اعلامه ببقاء العترة الى يوم الساعة ، العترة العليمة بالقرآن ، الهادية للامة الى انتهاء الزمان المعروفة اسماءاً وصفات .

ولو ادعى أحد من الهاشميين سواه ذلك العلم وتلك الخلافة اللذين دل عليهما هذا الحديث الشريف لوجب علينا أن ننظر في صحة تلك الدعوى ، ونختبره في علمه ، ونمتحنه أي مقدرته من إقامة الحجة واظهار الكرامة ، ولكن العصر من يوم وفاة الحسن العسكري الى اليوم خال من ذلك المدعي غير الغائب المنتظر .

وإن وجوده بغير مخاصم لدعواه يقضي باستقامة وجوده ، لأنه لو مات لوجب ان تنتقل لتلك المنزلة الكبرى الى غيره ، ومن هو ذلك الغير لو كان .

وجملة القول أن الحديث الشريف يرغمنا على الاعتراف بوجود الخليفة الثاني من العترة في هذا اليوم ، وليس أحد غير ابن الحسن لهذا المقام يوصف فيعرف .

غير أن الذي يستنكره أو يستكبره قوم من شأن ولادته من قبل وحياته الساعة أمور وأهمها أمران .

الأول : أنه كيف يعيش إنسان هذا العمر الطويل ، فقد ولد ـ إن كان مولودا ـ باتفاق ارباب الحديث والفضائل والتأريخ عام ٢٥٥ هجرية ، فيكون عمره اليوم في عام (١٣٦٤) ١١٠٩ من الأعوام .

الثاني : ما فائدة إمام وعالم نصبه الرسول (ص) لتفسير الكتاب وتعليم الناس وهدايتهم وهو محجوب عنهم ، لا يستفيدون من وجوده ، وكيف يحتج الله على الأمة بامام لا يصلون اليه فيأخذون عنه ويهتدون به .

إن الجواب عن هذه المباحث تستطردها كتب الكلام في مباحث الإمامة ، بل اعدت لهذا الغرض كتب خاصة أمثال غيبة الشيخ الطوسي طاب ثراه ، وقد اجبنا عن ذلك في رسالتنا ـ الشيعة والامامة ـ ونشير الآن أيضاً الى الجواب لئلا تخلو هذه الرسالة الوجيزة من هذه الفائدة الجليلة فنقول :

أما الجواب عن الاول فشاهدنا عليه الكتاب الكريم ، فأين أنت عن نوح (ع) فقد لبث في قومه يدعوهم الفاً إلا خمسين سنة ، فكم لبث قبلها ، وكم لبث بعدها ، فان المهدي المنتظر حتى اليوم لم يبلغ عمر نوح ، وأين أنت عن ادريس وعيسى (عليهما السلام) وحياتهما اليوم ، فقد رفعا اليه من دون موت ، وكفى دليلاً على بقاء الانسان العمر الاطول بقاء الخضر (ع) وكان معاصراً لموسى (ع) ، وإذا جاز لحكمة أن يطيل الله

تعـالى أعمار أنبيـائه (عليهم السـلام) فلماذا لا يجـوز ذلك في أوصيـائهم وخلفائهـم ؛ وما أكثر الشواهـد في التاريـخ ممن طال بهم العمـر ، غير أننـا استغنينا عنهم بمن لا ريب في استطالة عمره وبقائه لأن القـرآن الكريم قـد ذكره ، وهو قطعي الصدور .

وأما الجواب عن الثاني فجدير بان نحيله الى الله تعـالى ، لأن الايراد أشبه بان يكون عليه جل شأنه ، فان لابن الحسن (عليهما السلام) أمثـالا من الانبياء والرسـل قتلتهم الناس من دون أن يعملوا بـدعوتهم ، ويهتـدوا بهداهم ، فلماذا بعثهم الله جـل شأنـه وما يجـاب به عن أمـر الانبياء فهـو جوابنا عن شأن الإمام المحجوب .

فانك إن قلت أنه أرسلهم لطفا بالعباد واقامة للحجة عليهم ، وكان التقصـير في عدم الاستفـادة بهم من الناس انفسهم فذاك جـوابنـا بعينـه ، ونزيده إيضاحاً .

وهو أن الواجب في النبوة والامامـة أمور ثـلاثة ، أن يخلق الله تعـالى لطفاً بعباده رجلا له الكفاية والمقدرة على النهوض بعبء النبوة أو الإمامة ، وأن يقبـل ذلك الـرجل تلك المسؤوليـة العظمى ، وأن يـطيع النـاس ذلك الـرجل المبعـوث أو المنصوب لـذلـك الشـأن الخـطير بعـد اقـامـة المعجـزة والبرهان .

فما كان من الله ومن الإمام فقد وقع ، وأما النـاس فلم يكن منهم ما وجب ، شـأنهم مع آبـائـه ، بـل قضـوا عليهم قتـلا وسـماً فـوق الخـلاف والعصيان ، وعندما قضى المعتمد العبـاسي على أبيـه الحسن العسكري (ع) بالسم عام ٢٦٠ هجرية فتش عنه الغرف والبيوت ليقتله فهرب منـه وغاب وهو ابن خمس ، وقد وعد الله تعالى الناس على لسان نبيه (ص) بأن يملأ به

الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ولا بد أن يظهره للعباد براً بوعده فانه لا يخلف الميعاد ، والله سبحانه أعلم بالوقت الملائم ولو كان يومه الموعود فيه ظهوره هذا اليوم أو أمس لظهر فيه ، والله أمر هو بالغه .

فالناس هم الذين فوتوا المنفعة من وجوده ظاهراً ، كما فوت الاوائل المنفعة من الرسل والانبياء ، وعسى أن يكون في وجوده مستوراً فوائد جمة نجهلها اليوم ونعرفها غداً عند ظهوره فليس البأس إذن في غيابه إلا من الناس .

وإن كان معاصروه هم المسيئين في تغيبه إلا أن استمرار الغيبة كان من أهل الأزمنة اللاحقة ، وكيف يأمن من أهل هذه العصور أن يحاربوه لو ظهر ، والناس أمثال الناس والعصور متشابهة وما لم يثق من الناصر كيف يظهر .

ومن يقدر أن يثبت أن أعوانه اليوم لو ظهر أكثر أو أقدر من اعدائه حتى يقوى بهم على محاربة أعدائه والتغلب عليهم وأين أولياؤه من اعدائه عدداً وعدة ، فإن من يعترف بولادته وحياته اليوم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود ، وكيف مثل هؤلاء يقهرون محاربيهم إلا أن يشاء الله فما دمنا لا نعرف الوقت الموافق فالاحرى أن نسكت موكلين الامر اليه تعالى ، منتظرين تعجيل الفرج به . عجل الله تعالى فرجه وفرجنا به .

ومن أين نعرف أن الناس تلبي دعوته بدون حرب وجهاد ، ولم لا أجابت آباءه من قبل ، والتاريخ ـ كما يقولون ـ يعيد نفسه .

المهدي ينهي الدنيا أو الرجعة

جاء من طرق الفريقين عن النبي (ص) أن الأئمة من قريش ثم من بني هاشم ثم من ولد علي وفاطمة ، ثم انهم إثنا عشر ، ثم النص عليهم باسمائهم ، فيكون المهدي المنتظر آخرهم ، فاذا ظهر عجل الله فرجه كان بوفاته قيام الساعة لقوله (ص) في هذا الحديث : لن يفترقا حتى يردا علي الحوض واذا توفي وكانت الدنيا باقية فلا بد إذن من رجعة النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) كلهم أو بعضهم الى أن تنتهي الدنيا ، لأن الامامة وعلم الكتاب إذا انحصرا بهؤلاء الاثنى عشر ولم تنته الدنيا بموتهم فلا مناص لنا عن القول بالرجعة ، لا سيما والرجعة غير ممتنعة عقلا ولا نقلا ، بل هي جائزة عقلاً صريحة نقلا ، فهي ممكنة في ذاتها جائزة عليه تعالى . والممكن إذا وجدت علته إن وجد لا محالة .

فاذا جازت الرجعة عليه وقام عليها البرهان العقلي والنقلي فاي بأس بالذهاب اليها ، والقول بها ، ونحن إنما نستضيء بنور العقل ، ونهتدي بمصباح الدليل ، وإن استبعاد بعضهم أو استنكارهم تهويس لا يقاوم الدليل ، واعتقاد البعض بعدم الرجعة من دون برهان لا يكون برهان العدم .

أهل البيت معصومون

عندما التحق رسول الله (ص) بالرفيق الاعلى بعدما أكمل الدين أصبح الناس شيعاً ومذاهب في أحكام الدين وللسائل أن يسأل : أكان ذلك لأن الرسول لم يحسن التبليغ فلم يؤد وظيفته ؛ أم لأن الناس لم يكن فيهم معصوم يأخذ عن النبي (ص) أخذاً صحيحاً كما نزل عليه وصدع به من دون نقص أو زيادة في السماع والاداء فيحمله الى الناس كما أراده الله سبحانه ، أم كان معصوم ولكن الناس انصرفوا عنه واعتمدوا على أنفسهم ، ولئن سلموا من العمد فلا يسلمون من الخطأ والسهو والنسيان في السماع أو التأدية .

إن الله عز شأنه إنما بعث النبي لهداية البشر واصلاحهم وتوحيدهم في الدين والشريعة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1] والنبي معصوم فلا يخطىء ولا ينسى ولا يقصر في التبليغ ، فالاختلاف إذن بعده إما لصفحهم عن المعصوم أو لعدم وجود المعصوم .

إن تلك الغاية النفيسة التي من أجلها بعث الله تعالى رسولنا والرسل

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

من قبله تلزم بان يكون معصوم في كل عصر لحمل الناس على الهدى ، وكفهم عن الضلال وتأدية ما صدع به وإلا لم يقع الغرض المطلوب بتمامه من وحدة الاحكام والدين واجتماع الناس ، وهذا لطف والله جل لطفه لا يحبس لطفه ولا يمنع العباد هدايته ﴿ وهديناه النجدين ﴾[1] ولا يحملهم على المخالفة بعد اقامة الدليل لهم ثم يعاقبهم على ذلك الخلاف وهو مسبب عن حبسه اللطف ، فلا مناص من أن يكون الناس هم الذين اختاروا الضلالة بمخالفة الخليفة المعصوم ، لأن ذلك الافتراق والتشعب يستحيل أن يستند الى تقصير النبي (ص) في التبليغ والله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة به (ص) قبل فراقه للدنيا ، أو الى حبس الله لطفه عن العباد ، وهو اللطيف الرؤوف ، الهادي الى سواء السبيل .

فوجود الهادي المعصوم لا بد منه في كل عصر ليتم به اللطف ويحصل به الغرض المقصود من الوحدة ديناً واحكاماً واجتماعاً ولا تقوم الحجة على العباد بعد الرسول إلا به ، وإن هذا الحديث الشريف يرشدنا الى أن ذلك المعصوم الواجب وجوده في كل زمن هو من أهل البيت ، وذلك لأن الكتاب العظيم ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[2] لا يجوز عليه الغش والكذب والاضلال والخيانة في هدى البشر وارشادهم الى الحق ، وان أهل البيت بحكم هذا الحديث عديل القرآن وقرينه والعلماء به ، فلو جازت عليهم هاتيك الرذائل من الغش والاضلال والكذب وأضرا بها لاختلفوا مع الكتاب وخالفوه ففارقوه ، وهذا لا يكون منهم أبداً لأنهم الملازمون للكتاب حتى قيام الساعة ؛ كما ينبيك عنه قوله :

---

(١) سورة البلد آية ١٠ .
(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .

إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فما داموا والكتاب معاً سلم الرشد ومنار الهدى كانوا بريئين عن مثل الاضلال والاغواء والكذب عمداً وسهواً كما كان قرينهم الكتاب ، وإذا كان ذلك غير جائز عليهم كانوا معصومين لا محالة شأن الكتاب الكريم ، والعصمة ملكة تمنع الانسان من ارتكاب الجرائم واقتراف المآثم ، وتحوطه عن غشيان الرذائل والنقائص عمداً وخطأً وسهواً وغفلة ونسياناً هذا هو الحد الفاصل بينها وبين العدالة ، لأن العدالة إنما تمنع عن إتيان الفحشاء والمنكر عمداً ولا تمنع عنها سهواً ونسياناً وخطأً وغفلةً .

وإن إخبار الحديث عن استقامة أهل البيت على الهداية الى الحشر دليل على وجود تلك العصمة في قرين الكتاب منهم في كل عهد .

فالحديث كما يرشد الى عصمة الكتاب يرشد الى عصمة رجاله وعلمائه وأصحابه وقرنائه ، بمفاد واحد ومدلول ثابت فيهما معاً ، ولو أن أهل البيت لا يتفقون مع الكتاب في العصمة ، وغير مأمونين من السهو والنسيان والغفلة والعصيان ، لجاز أن ينطقوا ولو أحياناً بتأويل يخالف الحقيقة ويباين الحق ، وأين هذا من عدم الضلالة أبداً بالتمسك بهم ، وأين هو من إتفاقهم مع القرآن حتى آخر لحظة من الزمان .

فلو لم يكن لدينا دليل على عصمة أهل البيت غير هذا الحديث لكفى به شاهداً ودليلاً .

علمهم لدنّ

العلم اللدني ما كان من علام الغيوب سبحانه على نحو الالهام أو الوحي ، فيحصل للنفس من لدن النفس لا من خارجها بتعلم واكتساب وجد واجتهاد ، وهذا الحديث يدلنا على أن علمهم بالهام من لدنه تعالى ، ونستفيد ذلك من وجوده .

١ ـ إن الرسول (ص) كان يستقي علمه منه تعالى بالوحي وقد ترك أهل بيته خلفاءه على الأمة كما هدانا الى ذلك هذا الحديث ، والخليفة المنصوب يجب أن يكون مثالا لمن خلفه للهداية والاصلاح ، وحاكياً لخصاله وفعاله لا سيما والمخلف حكيم وبصير مأربه في التخليف صلاح الأمة ، وانما أشار الى الخليفة بأمر من فاطر الخليقة ، والعالم بضمائرهم وسرائرهم فلا بد أن يكون علمه من نوع علم النبي لدينا . وإذ دلّ الدليل على أن الوحي منحصر بالنبي فلا بد أن يكون الهامياً .

ولو كان أهل البيت على غير شاكلة الرسول (ص) في العلم والعرفان ، والشمائل والفضائل ، لما صلحوا أن يخلفوه وينوبوا عنه في تعليم الأمة ، وتفسير الكتاب ، وسياسة الناس على ما يفرضه الدين والقرآن ، ولما كان التمسك بهم سبيل الرشد والهدى ، والتخلف عنهم مدعاة للهوي والهلكة .

٢ ـ إن القرآن نزل منه جل وعز وفيه من الآي ما تحتاج الى تأويل وكشف ، فوجب أن يكون علم تأويله مستمداً منه تعالى ، لأن علم الناس

يجمع بين الصواب والخطأ ، ولو كان صوابا كله لكان واحدا لا اختلاف فيه ، وما أكثر الاختلاف فيه كما تنظر وترى ، وما ذاك إلا لما فيه من شطط وغلط ، فمن أخذ عن الناس العلم أخذ الصواب والخطأ ، فاذا وجب أن يكون علم الكتاب كله صواباً وجب أن يكون من الله تعالى خاصة ، من دون أن يكون منه ومن الناس ، ولا من الناس دونه ، وحين قرنهم الرسول (ص) بالكتاب علمنا أنهم العلماء الذين استمدوا علمهم الغمر من العلام تعالى منزل ذلك الكتاب .

٣ ـ إذا كان علم أهل البيت بتعلم من الناس كان الذي يعلمهم أجدر بخلافة الرسول وعلم الكتاب منهم .

وكيف يرشد النبي (ص) الى أهل بيته في علم القرآن ومقارنتهم له وفي الأمة من هو أعلم منهم به وأهدى الى الصواب وعندما اشار (ص) الى أهل بيته خاصة دون الناس عرفنا أنهم أعلم الناس بالكتاب ؛ فاذا كان علمهم صواباً أبداً وفوق مستوى علم الناس لزم أن يكون مستقاه من عالم فوق الناس ، ومن ثم جاء في بعض طرق الحديث : « ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم » .

٤ ـ أن حصر الخلافة فيهم وفي الكتاب أنبأنا عن وحدتهما وانحصار علمه الصادق فيهم ، وهذا يدلنا على أن علمهم من يوم وفاة الرسول (ص) الى يوم الساعة واحد ، لا يعتريه تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان . وهل يستقيم علم في بيت واحد عمر الدنيا ، على اختلاف شعبه وفنونه ، وهو يسير على شاكلة واحدة ، لا يختلف نقصاً وزيادة ، وتبايناً ومعارضة ، وذلك العلم مكتسب من الناس ، وهل شاهدت علماء توارثوا العلم وتناقلوه هذا العصر الاطول على اختلاف شعبه وفنونه ، من دون أن

تحدث بين أوقاته فرجة خالية من عالم وكان ذلك العلم اكتسبوه بتعلم ، وحصلوه بجد ، وكيف لا يحصل هذا العمر في سلسلتهم جاهل ، وكيف لا تختلف مراتبهم في مقدار ما يعلمون ، وعلمهم من الصدور والسطور .

فلا بد من أن نعتقد بان هذا العلم الساري على نهج واحد مستند الى علام الغيوب تعالى من دون أن يتوسط في تعليمه الناس ، لأن مثله لا يكون في علم الناس أبداً .

٥ ـ كيف اعتمد الرسول (ص) على علم أهل بيته بالقرآن طول الابد ، وأمن أن لا يكون فيه خطأ واغواء ، وشك وكذب ، وتخلف عما في الكتاب الجامع لبيان كل شيء ، وما علمهم إلا من الناس وعن الناس أفيصح أن يخبر النبي الصادق (ص) عن استدامة العلم والعلماء في أهل بيته مدى الزمن على مثال واحد ، وأن علمهم صواب لا خطأ فيه ، وهدى من غير تضليل ، ونصح من دون غش ، وصدق بلا كذب ، وأولئك العلماء من سائر البشر لا ميزة لعلمهم على الناس وعلمهم مأخوذ من الناس .

إن مثل هؤلاء العلماء لا يكونون كالناس أبداً ، ولا علمهم عن الناس بتاتاً بل إن العقل والوجدان والعادة أدلة على أن مثل هؤلاء فوق مستوى البشر الذي يقع عليه البصر ، وان مثل هذا العلم الذي عندهم لا يكون إلا مستمداً من الفيض الأعلى ، وإن مثل هؤلاء العلماء لا تأتي بهم الظروف والأيام صدفة بل هم معنيون بالخاتمة ومنح ذلك العلم ، منصوص عليهم منه عز شأنه بواسطة رسوله الامين (ص) .

هذا بعض ما دلنا عليه هذا الحديث الكريم من علمهم من لدنه سبحانه لا يرتشفون فراته من مياه الناس الآجنة ، وأين العلم المستقى من ينبوعه الفياض من العلم المستقى من ينابيع الناس .

علماء بكل شيء

يفهمنا هذا الحديث الشريف أن أهل البيت علماء بجميع ما في الكتاب لأنهم قرناؤه في الهدى ، فلو سئلوا عن حرف من الكتاب العزيز ولم يكن علمه عندهم لخرجوا عن مقارنته في الهداية وتخلفوا عن معادلته في الخلافة عن الرسول (ص) بل يحملون الناس على الريبة والمروق بسبب الجهل بالكتاب عند السؤال عنه واين هذا من إخبار النبي (ص) بانهم منار الهدى عمر الدهر ، فلا بد إذن من أن يكون علم الكتاب جميعه عندهم .

فاذا كانوا ـ بدلالة هذا الحديث ـ علماء بجميع ما في الفرقان الحكيم كانوا علماء بكل شيء ، لأن الله جل ذكره يقول في محكم كتابه : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ويقول : ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾ .

نعم إننا نجهل هاتيك الجامعية الكبرى للكتاب ، ونجهل كيفية علمهم به ، وهذا الجهل بتلك الجامعية وتلك الكيفية لا يدعو الى الشك فيهما .

إن من الجهل أن ننكر صحة ما نجهل ، فنكون مصداقاً لقولهم : المرء عدو ما جهل ، ومن عدائه لما يجهل نكرانه له .

إن القصور عن إدراك المنازل السامية في العلم والعرفان لا يقضي بانكارها ، بل يجب التسليم بها ما دام الدليل قائماً عليها عقلاً وكتاباً وسنة ، وما دام الوعاء صالحاً لأن يخزن ذلك العلم وما دام الناس في حاجة لامثال هؤلاء العلماء . نعلم يقيناً من الآيات والروايات والآثار بأن مراتب أهل البيت في العلم والمعرفة والفضيلة سامية جداً ، لا يدانيهم فيها الناس ، ولا يقترن بهم فيها أحد ، لأن ما جاء في نعت علومهم مثل قوله تعالى : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾[1] وقوله (ص) : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وقوله (ص) : ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، ومثل قول المرتضى (ع) سلوني قبل أن تفقدوني ، وقوله : علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب ، وقوله وقد وضع يديه على صدره : هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله (ص) وقوله وقد أشار الى صدره أن هاهنا علماً جماً لو أصبت له حملة ، وما ضارع هذا مما يكثر تعداده يعلمنا بان علمهم الغمر مستمد من الفيض الاعلى ، فانظر هل لهذا البحر ساحل ، فاذا كان علمهم بهاتيك الصفة فهل يوجد عند الناس حتى يتعلموه منهم .

على أنك لو استقصيت بعض آثارهم ـ إن كنت جاهلاً بها ـ لوجدت أنهم مثال لهذا العلم فانهم ما سئلوا عن شيء إلا وجد السائل علم ما سأل عنه عندهم ، ولا ابتدأوا بالبيان عن أمر إلا أظهروا للناس ما لا يحتسبون وما لا يجدون علمه عند غيرهم ، فهذه الآثار وتلك الأخبار لا تدع مجالاً

للشك في انهم حقاً علماء بكل شيء حتى وان لم تصرح تلك الآثار والاخبار بسعة ذلك العلم ، فكيف وفي هذا الحديث الشريف دلالة وإبانة على تلك السعة مشفوعاً بتلك الاحاديث والآي الصريحة .

وقد ساقني التوفيق قبل سنيات فكتبت رسالة عن علم الإمام ولعل فيها ما يرفع الشك ويزيح الستار ، ويريك أن علمهم فوق مستوى علم البشر ، وليس بدعاً أن تكون لهم تلك السعة من العلم لأن الناس في حاجة شديدة الى مثل هذا العلم والعلماء ، وكيف تستغني عن عالم معصوم عن الخطأ والغفلة والسهو والنسيان ترجع اليه في تصحيح ما لديها من خطأ وشك وارتياب وما شابه هذا ، وهل في الأمة سواهم من نصبه الرسول علماً للرجوع في الارشاد والتعليم .

أغنياء عن علم الناس

إذا كان علم أهل البيت مستمداً من علم العلام تعالى بواسطة الرسول الأمين (ص) وكانوا ـ كما يخبر ناعتهم هذا الحديث ـ علماء بكل شيء ، فانهم لا محالة أغنياء عن علم الناس لأن الناس أخذوا عن الناس ، وعلى قدر ما بين المصدرين من الفضل يكون التفاوت بين العلمين ، وكيف يحتاج العالم بكل شيء الى علم مشاب صوابه بالخطأ ، وممتزج صحيحه بالسقم ، وكفى برهاناً على هذا الشأن ما جاء في بعض طرق الحديث من قوله (ص) ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، ولو كانوا محتاجين الى علم الناس لما كانوا أعلم من جميع الناس بل لزم أن يكونوا من سائر الناس في الفضيلة .

الناس محتاجون الى علمهم

إذا كـان الكتاب المنير حـاويـاً لعلم كـل شيء ، وكـان أهـل البيت (عليهم السلام) العلماء بما حواه ، فلا محالة إذن من أن النـاس كلهم من البدء الى المنتهى ما دام الكتاب وما دام أهل البيت محتاجون الى هذا العلم الذي عند أهل البيت .

ولا فرق في تلك الحاجة الى علمهم بين العالم من الناس والجـاهل . وبين هذا اليـوم وبين أول يـوم بعد وفـاة الرسـول (ص) لأن خطاب النبي عام يشمل الأمـة أجمعها ولـو لم يكن شاهـداً على تلك الحـاجة إلا أن علم النـاس مزيـج من الصواب والخـطأ ، وأن علمهم صـواب محض ، ويقـين بحت لكان فيه غنى عن الاستدلال بعموم الخطاب .

ولـو لم يجيء في بعض طـرق الحـديث : ولا تعلمـوهم فـانهم أعلم منكم الدال على حاجة الناس اليهم طول الزمن لأنهم أعلم الناس ، لكان من قوله ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً دلالـة صريحـة بأنهم أجمـع النـاس لصفـات الهـدايـة والكمـال ومن تلك الصفـات العلم ، أتـرى أن الجاهل أهدى من العالم ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهـدّي إلا أن يهدى**﴾[1]

فكان لزاماً على المسلمة أن تأخذ عنهم دون أحد سواهم من الأمة ، وتتبع هداهم دون غيرهم ممن زعم العلم والهداية ، وكان حتماً على أولئك الذين تظاهـروا بالـزعامـة أو العلم وتصدروا للحكم أو الافتـاء أن ينقادوا

---

(١) سورة يونس آية ٣٥.

ويقودوا الناس ـ إن اتبعوهم ـ إلى أهل البيت روّاد العلم وورّاده ومصابيح الهدى وأعلامه دون أن يحولوا بين الناس وبين ذلك العلم الالهي والهدى الابدي .

لا إمام عليهم

قد يعنى بالإمامة تلك الإمامة السياسية التي تشف عن الملك ، وأخرى تلك الإمامة الالهية التي إن انعقدت في الأرض كانت بامر من رب السماء .

لم تكن إمامة انعقدت في الأرض وكان مصدرها السماء إلا إمامة أهل البيت ، كما يراه أهل البيت ويراه ثلة من المسلمين فيهم ، بعد أن أقاموا البرهان عقلاً ونقلا على ذلك ، وأما الأمامة التي يعقدها الناس من دون علاقة لصاحب الشريعة ولا بأمر من الله جل شأنه فليست مرموقة لأهل البيت ولا معنية لهم ولأنصارهم ، ولئن طالبوا بحقهم من الامامة ، أو طالب لهم شيعتهم ، فلا يقصدون من وراء ذلك أن يتربعوا على أرائك الملك وإنما يريدون أن يثيب الناس اليهم ليقيموا موازين العدل ، وينصروا الحق والدين ، كما هو شأن الإمام عندهم .

فان تكلمنا عن الإمامة فلا نريد منها إلا التي فرضها الرسول (ص) عن الله عزّ شأنه ، وتلك الإمامة الألهية المفروضة ما ادعاها أحد سوى أهل البيت ، فمن ثمة تعرف انه لا إمام عليهم من الله سبحانه ، وأما الإمامة المعقودة من بعض الناس فانما يفرضها الناس بعضهم على بعض ،

وأين ما يفرضه الرسول (ص) عن الجليل تعالى مما يفرضه الناس أنفسهم ، وما فرضه الناس لم ينزل فيه كتاب ولا وردت فيه سنة ولا يّنفذ هذا الفرض إلا القوة أو المال لا الكتاب أو السنة فلو لم تكن للإمام المفروض من الناس قوة تعضده أو مال يسنده لم تر الناس له إمامة ولا طاعة ؛ أفهذا شأن الإمام المفترض الطاعة .

والحديث الشريف يجعل ـ كما أشرنا اليه بدءاً ـ إمامة وخلافة من الله تعالى فرضاً لا أختيار للناس ولا تخيير لهم فيه ، فاذا كانت إمامتهم هي المفروضة من الله والرسول على الأمة فكيف يكون عليهم إمام مفروض الطاعة ، ولو كان إمام لوجب أن يكون مفروضاً من الله سبحانه على الناس كلهم حتى على أهل البيت فمن هو ذلك الإمام وما دليله .

وأما الآية الكريمة القائلة : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[1] فإنها لا تأمر بطاعة يزيد والوليد ممن أظهر الكفر فوق الفسق ، وكيف تفرض طاعة من يجب على المؤمنين حربه وقتاله في الله ونصرة للدين ، نعم إنما تريد الآية أن تفرض طاعة الأئمة الذين حبسوا أنفسهم على مرضاته تعالى في الشريعة وفي الناس وفي أنفسهم ، واتقوه حق تقاته .

إنما يحكم العقل والنقل بطاعة مثل هؤلاء ، وأما من حبس نفسه على الشهوات وخالف الله والرسول سراً واعلاناً ، أو خالف مرة وأطاع مرة ، فلا يجوز عليه تعالى أن يفرض على العباد برهم وفاجرهم طاعته ، وكيف يفرض طاعة من تجب إقامة الحدود عليه من عدول أهل الايمان ، ويجب نهيه عن المنكر المقيم عليه ، وأمره بالمعروف التارك له .

إن الله أعدل من أن يأمر بطاعة أرباب الكنـ والعصيان لا سيما إذا

كانت الطاعة من أهل العدل والاحسان .

على أننا لو تأملنا في مدلول هذه الآية الكريمة لفهمنا منها أن المقصود من أولى الأمر قوم عصمهم الله من الزلل والخطأ والذنب والعيب ولا بد أن يكون قد أعلم الناس عن حالهم ، لئلا يبقى مفروض الطاعة مجهول الاسم والوصف .

بل لو تدبرت الآية الكريمة لعرفت ذلك عنها جلياً واضحاً غير خفي ولا غامض ، وذلك لأن الله سبحانه قد قرن طاعة أولئك بطاعته وطاعة رسوله ، وجعل هذه الطاعة واحدة ، فعلمنا أنهم دون الرسول وفوق البشر في كل ما يستلزم الطاعة من سأن ، ولو كانوا من سائر البشر أو دونهم في كل شأن لما قرنهم بطاعته وطاعة رسوله ، أيصلح العصاة أو يكونوا في صف الله ورسوله في الطاعة .

بل إن لفظة الأمر نفسها تشهد بأن الأمر لهم ذاتيّ لأنها وصف منتزع من الذات ولو كانت كاللباس المستعار يلبس مرة وينزع أخرى ، إن رأوا أنهم أهل الأمر أو رآهم بعض الناس أهلاً له كانوا كذلك ، وان غضب الناس عليهم وانتزعوهم ذلك الوصف انتزعه الله منهم ونهى عن طاعتهم ، لما كانوا أولياء الأمر حقيقة ولا كان الوصف لهم ذاتاً .

أترى أن الله يتبع العباد فيما يرون ويرغبون فان رأوا طاعة أحد رآها أو نقموا عليه وعزلوه عزلها الله عنه الى من اختاروه أو اختار نفسه لها ، فيا ليت شعري أهكذا تكون الطاعة المفروضة منه تعالى المقرونة بطاعته وطاعة الرسول كرة بأيدي اللاعبين يوجهها حيثما شاءت الاهواء ، وكيفما رغبت النفوس ، ولو جاز ذلك في الامام لجاز في النبي ، فلا نبيّ إلاّ ما اشتهت الناس نبوته .

كلا . إننا لو تجردنا عن النزعات لفهمنا من لفظة أولى الأمر ههٰنا انها صفة خاصة بهم ، منحة لهم منه جل لطفه دون الناس كلهم لباساً فصل على معاطفهم لا يعار ولا يستعار ، ولا يلبسه ولا ينزعه الهوى ، كريشة في مهب الريح ، كما كان كذلك شأن النبوة .

فالحديث الشريف عندما يفرض إمامة أهل البيت والتمسك بهم يفرضها على الأمة جميعها ، الزعماء والسوقة والعلماء والجهلة من حين وفاة الرسول (ص) الى قيام الساعة ، فمن أين تكون إمامة عليهم ، وما تفرضه الناس على أنفسهم وعلى أهل البيت لا يكون فرضاً من الله تعالى ، بل لا يمضي ذلك الفرض حتى على أولئك الناس أنفسهم الذين أوجبوا تلك الطاعة عليهم ، فان الوجوب والحرمة ومتعلقاتها من الطاعة والمعصية لا يصار اليها إلا بحكم من صاحب الشريعة ، لا بحكم من الناس حسب الهوى والرغبة . ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام .

لا خليفة قبلهم

لا يراد من الخلافة إلا الإمامة ، فالخلافة إذن قسمان مفروضة منه تعالى ومجعولة من الناس ، فما كانت منه عزّ شأنه فالحديث يجعلها للعترة خاصة على الناس أجمع ، وما كانت من الناس فلا نقصدها بالبحث ، فلا بدع لو نقول :

أن لا خلافة إلهية قبل خلافتهم ، ولا بعد خلافتهم حتى الحشر والنشر ، ولا مقارنة لخلافتهم .

إن الحديث الشريف يقول : إني تارك فيكم الثقلين ، فالثقلان هما الخليفتان من بعده ، ولو كان هناك خليفة من الله تعالى دونهما أو قبلهما أو معهما أو بعدهما لأخبر عنه الرسول (ص) كما أخبر عنهما ، وآية **أطيعوا الله** قد أوضحنا البيان عنها ، على أنها إنما الزمت بطاعة أولي الامر ، وليس فيها دلالة على أن أولئك الذين تسلقوا العروش من أولي الأمر ، بل نحتاج في اثبات انهم من أولي الأمر الى دليل آخر ، فان ادلة الأحكام لا تثبت موضوعاتها إلا أن ينص الدليل على موضوعه ، وليس في الآية دلالة على تشخيص أولياء الأمر ، وما كل من يزعم أنه منهم يكون منهم .

فهذا الحديث يثبت لنا أن الخليفة للرسول هو الكتاب والعترة ، وهو المشخص لأولى الامر المعنيين من الآية الشريفة ، فكيف يكون بعدئذ عليهم خليفة لم يفرضه كتاب أو سنة أو عقل .

وأما حديث أصحابي كالنجوم فقد عرفت أن الأخذ بعمومه يوقعنا في هوة لا نجاة منها ، فان النبي الناصح لأمته أهدى من أن يجعل من المنافقين والخائنين قدوة لهم فحمله على البررة منهم المتمسكين بالثقلين أو على خصوص الاصحاب من أهل البيت أجدر ، ولو ساغ لنا أن نأخذ بعمومه فلا نفهم منه أنه يجعل من الاصحاب ثقلاً يعارض الثقلين ، وخلافة تنافس خلافة أهل البيت ، لأن الرسول بعث رحمة فلا يجعل من الأمة ائمة يقضى تنافسها على الأمامة بالبلاء والنقمة ، وكان من منافسه الصحابة لأهل البيت على الخلافة مواقف دامية لا يجهلها الناس والتاريخ .

التمسك بهما معاً طريق الهدى

إن الحديث ينطق بان الهدى بـالتمسك بـالثقلين معاً ومعنى ذلـك أن التمسك بهما معاً مصطحبـين ، والأخذ عنهـما معاً متفقـين ، دون أن يكون بواحد منهما بانفراده دون قرينه .

والوجه في ذلـك هو أن القـرآن الكريم ـ كـما سبق بيانـه ـ نزل عـلى الرسول (ص) تبياناً لكل شيء ، ولم ينكشف للناس ذلك الايضاح الجـامع فأما أن يبقى الكثير منه غامض السر فلا تحصل الفائـدة الكبرى من تنـزيله والغاية القصوى من اعجازه ، وإن كان يجده الأن غزير النفع ، لا يستطيع الانس والجن أن يـأتوا بمثله وإن كـان بعضهم لبعض ظهيـرا ، أو تنكشف للعالم اسراره الجليلة ويبهـر الناس اعجـازه أكثر ممـا يلمسونـه اليوم عنـدما يقفون على تلك الاسرار الغامضة .

إن الله عـز شأنـه ينزل القـرآن ليخفي على النـاس ما حـواه من سر ونفع ، وإنما أنـزله اصـلاحاً للبشر ودلالـة على وجـوده ووحدانيتـه ، وهذا الشأن يحتم بان يكون له أهل يعلمون تلك الخفايا منه ، ليكونـوا ادلة عـلى الوجود والتوحيد وهداة للعباد .

وما أولئك العلماء بالكتاب الادلاء على ذاته وعبادته إلا أهل البيت بعد رب البيت ، ولو لم يكن إلا هذا الحديث دليلاً على تلك المنزلة القدسية للعترة لكفى به هادياً ودليلاً .

وإن مما يرشدنا الى حاجة التنزيل الى التأويل ـ سر أودعه الله فيه ـ هو اقتحام الأمة من البدء حتى اليوم للقيام بهذه المهمة الكبرى ، وما زال يتجدد هذا القيام والاهتمام في كل عصر وجيل ، وما زالوا قاصرين عن بلوغ سره الغامض وفائدته القصوى ، وما زال غامض السر مع اجتهادهم في التأويل وكما زعموا أنهم كشفوا جانباً من مختبياته عاد كأنه طلسم لم يحل .

واختلافهم في تأويله ، واعترافهم بعدم الوصول لأسراره كلها يشعرنا بان له أهلاً لا يعدوهم ذلك التبيان الجامع ، فان الله أعدل من أن يترك الناس في تأويله كحاطب ليل وعشواء في ظلماء ، دون أن يجعل لهم مصباحاً يستضيؤن بنوره ، ودليلاً يسيرون على هداه ، وما كان ذلك الاختلاف فيه وعشوتهم عن بلوغ سره العجيب إلا لصفحهم عن ذلك المصباح الوضاء والدليل الهاد ، وما ذلك الصفح يخرجه عن الاضاءة والدلالة .

ولو كان الناس على هدي في تأويله لا تفقت كلمتهم واتحدت مذاهبهم فيه ، وليس الاختلاف من الكتاب نفسه ، وكيف يكون فيه اختلاف وهو نازل منه جل شأنه ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

فإذا تجلى لنا أن الكتاب لا يستغني أبداً عن المفسر العالم بنزوله

وتأويله فكيف يمكن التمسك بالكتاب أخذاً بتعاليمه وأحكامه وعبره وسيره من دون أن نرجع الى ذلك العالم بالتأويل وكيف نكون آخذين بما حواه ونحن على ذلك الجهل والاختلاف فيه .

وأما التمسك بالعترة دون الكتاب فضلال حتماً ، لأن العترة حملة علم الكتاب ، والحاملون على تعاليمه ونصائحه ، فكيف يؤخذ بأهل التأويل ويترك التنزيل .

على أن التمسك بالعترة دون الكتاب لا يكون أبداً لأنهم لا ينطقون إلا عن وحيه ولا يدلون إلا عليه ، فالاعتصام بهم لا ينفك عن الاعتصام بالكتاب وبالنازل منه وبالنازل عليه .

فبان لنا بعد هذا البيان أن التمسك لا يكون بالكتاب دون قرينه العترة ، ولا بالعترة دون مصدرها الكتاب ، وإنما يكون بالأخذ بهما معاً مقترنين ، وبعروتيهما معاً متفقين ، بل ما هما إلا عروة واحدة لا يمكن التفكيك بين حلقها المتماسكة .

غير أن العترة اللسان الناطق للكتاب الصامت ، فلا نقدر أن نتمسك بالكتاب من دون طريقهم ، لأن معرفة ما فيه بكشف خفاياه ، والتمييز بين محكمه ومتشابهه ، وناسخه أو منسوخه وما سوى ذلك ، لا يكون صحيحاً إلا من بيانهم وإيضاحهم .

العترة هادون مهديون

فـاقد الشيء لا يعـطيه ، فـإذا كان التمسـك بالثقلين طـريق الهـدى والحق كان الثقلان لا محالة هاديين مهديين ، ولا يجوز عليهما الضلال كما لم يجز الاضلال أبداً ، وهل يكون الضال هادياً والجاهل معلماً ، والعـادل عن الطريق دليلاً .

إذن فما دام العترة مهديين وهداة أبداً كان الهدى باتباعهم ، والرشد بـاخذ تعـاليمهم ، كما أن الضـلال بالانحـراف عن سبيلهم ، والهـلاك في اجتنـاب واديهم ـ يا عمـار إن سلك الناس كلهم واديـاً وسلك عـليٌ واديـاً فاسلك وادي علي ، فانه لا يضلك عن هدى ، ولا يدلك على ردى ـ.

فلو وجدنا في الناس من عاداهم وقـاومهم فعادوه وقـاوموه عـرفنا أن الرشد معهم والضلال مع من خالفهم ، هذا علي ومعاوية وعلي والجمـل ، وعلي والخوارج ، وذاك حسين ويزيد . الخ

المحتويات

الثقلان

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد ابراهيم علي
الكتبي

تتعهد المؤسسة لكافة المؤلفين والناشرين الكرام داخل لبنان وخارجه بطبع كتبهم وصفها بالكمبيوتر وكذلك التصحيح والورق والتجليد الفني باسعار مرضية كما تزود المكتبات ودور النشر بكتبها وكتب دور النشر الاخرى وحسب الطلب .

بيروت ص .ب ٢٥/٢٢٩ الغبيري